إني سميتها فاطمة وإني بنت محمد

تأملات في خطبة الزهراء وبعض شؤونها

فوزي آل سيف

إني فاطمة وإني ميكمِّد

تأملات في خطبة الزهراء وبعض شؤونها

فوزي آل سيف

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٤٢-٢٠٢١

خط الغلاف: الأستاذ حسن الزاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كانت هذه الصفحات راقدة منذ العام الماضي أيام الفاطمية ١٤٤١ هـ، وكنت قد جمعتها حينذاك لإعادة صياغتها فحالت حوائل وشغلت شواغل وتحقق ما في المثل «**في التأخير آفات**» واستمر الحال هكذا إلى ما قبل نحو شهر من الزمان حين أرسلت إلى أحد السادة من العلماء الفضلاء رابط مقطع صوتي عن سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، فاتصل بي بعد ذلك وقال: لماذا لا تجمع هذه المحاضرات وتعيد صياغتها حتى تكون الفائدة عامة وأثنى - بمقدار حسن ظنه وطيبة نفسه -على تلك المحاضرة وحرّض ما استطاع على الموضوع، فكان أن قدح زناد العزم عندي من جديد على إعادة النظر فيها وهو ما حصل حتى صارت هذه الصفحات بين يديك.

أورد هذه الحادثة للتأكيد على ملاحظتين: الأولى الدور السيء للتأخير في إتلاف عمل الخير، وأدعو من خلالها إخواني وأخواتي إلى عدم الإصغاء للتبريرات التي تساق لتأخير العمل ولو بعناوين ظاهرها مقبول فقد يكون تأخير عمل الخير يعني تضييعه أحيانا كثيرة وقد وردت أحاديث في هذا المعنى؛ منها قول أمير

المؤمنين عليه السلام «**بادروا بعمل الخير قبل أن تشغلوا عنه بغيره**» وقول الإمام الباقر عليه السلام «**من همَّ بشيء من الخير فليعجّله فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة**» واشتهر قول الشاعر:

قدم جميلا إذا ما شئت تفعله ولا تؤخر ففي التأخير آفاتُ

و الثانية: الدور البنّاء والرائع لكلمة التشجيع والتحريض، بعكس الدور الهدام لكلمات التثبيط حتى لو كانت على صورة (**لكن**) فكم قتلت هذه الـ (**لكن**) من موهبة! وهدمت من طموح! وعطلت من فائدة! ودفنت من مشروع! إنني في الوقت الذي أشكر فيه هذا السيد الجليل الذي ربما لولا تحريضه وتشجيعه لكانت هذه الصفحات كما كانت قبل سنة راقدة في ملف، أدعو نفسي ومن يقرأ هذه الكلمات إلى تشجيع من حولنا في مشاريعهم الصالحة حتى نشاركهم في في ثواب أعمالهم وثواب قائل الكلمة الطيبة.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف
تاروت القطيف
٣/ ٤/ ١٤٤٢هـ

أسانيد خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام

روى المحدثون أنه لما أجمع القوم على منعها فدكاً، جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى المسجد في لُمّة من حفدتها، حتى إذا وصلت نيطت بينها وبين القوم مُلاءة، فأنّت أنّة ثم قالت: «**الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم من عموم نِعَمٍ ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام نِعَمٍ أولاها، جلّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها**»

من خلال الخطبة التي أنشأتها الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، بعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي عرفت فيما بعد بالخطبة الفدكية بالرغم من أنها لم تذكر فدكا فيها!ـ سوف نتعرض إلى جملة من العقائد التي يؤمن بها أتباع أهل البيت عليهم السلام الشيعة الإمامية، حيث تناولت في هذه الخطبة شيئا عن صفات الله عز وجل وخلقه الكون والأشياء، كما تعرضت أيضا إلى شخصية والدها النبي محمد المصطفى صلوات الله عليه، وبيئته التي كان فيها، ومقدار الجهد الذي بذله في سبيل تأسيس الإسلام.. ثم إنها أيضا شخصت الخطوط التي كانت في زمان النبي، ومن خلالها يمكن رصد نشوء التشيع للامام علي عليه السلام، فيما عرف فيما بعد وتبلور باسم

(الشيعة).. وأيضا حديثها المبكر عن مقاصد التشريع الإسلامي، حيث نلتقي مع نص من أقدم النصوص بعد القرآن وحديث النبي والوصي حول أهداف العبادات والتشريعات الإسلامية عموما.. وفي الأخير نرى محاكمة رصينة منها عليها السلام، لمنهج الخلافة الأولى التي أرادت بحديث عليه ملاحظات تأسيس حكم شرعي خاص في موضوع الميراث، وحجب ميراث فاطمة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. ونتعلم من كلماتها طريق الاستدلال الفقهي على هذا الموضوع.

ومن الضروري بصورة منهجية أن نقدم مقدمة تثبت انتساب هذه الخطبة إلى السيدة الزهراء عليها السلام؛ فإن هذا ضروري، لمن كان يعتقد بعصمتها كما يرى ذلك أتباع أهل البيت، حيث تكون فقراتها مع ثبوت النسبة من ضمن الأدلة الشرعية باعتبارها تدخل ضمن دائرة السنة[1] بل وحتى من لا يعتقد بعصمتها فإن من الضروري ثبوت نسبة الخطبة لها، باعتبارها أنها ستدخل حينئذ في قول الصحابي والصحابية وهو عند المدرسة الأخرى أيضا من مثبتات الأحكام، وفي أقل الفروض فإنها ستكون شهادة عيان على ذلك العصر وما جرى فيه، ومواقف الأطراف المختلفة فيه.

(١) يعتقد المسلمون عموما بحجية السنة وكونها من مثبتات الأحكام الشرعية، وبينما يقتصر أتباع مدرسة الخلفاء على سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يعمم شيعة أهل البيت عليهم السلام الأمر ليشمل فاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر، ويلتزمون لهم بالعصمة.

◄ حقيقة نسبة الخطبة للزهراء عليها السلام:

يلحظ الناظر أن هناك توجها من قبل مخالفي المدرسة الإمامية، ينفي أو يشكك في ثبوت نسبة الخطبة للزهراء عليها السلام، ويعتقد أن هذا التشكيك ليس منطلقا من واقع تاريخي أو قرائن واضحة على النفي وإنما هو راجع كما يعتقد باحثون إلى جهة عقدية، تكون محرجة أمام ثبوت مضامين هذه الخطبة، حيث تعارض مسلمات عقدية، وأفكار تقوم عليها تلك المدرسة.. ومن نفس المنطلق كانت هذه الفئة تنفي ارتباط المنقول في نهج البلاغة، بالإمام علي عليه السلام [1].

ولنفس الأسباب التي دعت إلى إنكار نسبة النهج إلى الإمام، والتشكيك في ذلك، فقد تم التشكيك في انتساب خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام.. وتلك الأسباب منها ما يرتبط بالعقائد العامة **(كالتوحيد وصفات الله تعالى، وفي نهج البلاغة من الخطب ما يخالف التوجه الرسمي لمدرسة الخلفاء في صفات الله وتوحيده، ونفس الكلام يأتي في خطبة الزهراء عليها السلام كما سنشير لذلك..)** وأيضا العقائد بالمعنى الخاص المذهبي، ففي نهج البلاغة في مواضع كثيرة، بيّن الإمام علي عليه السلام تقدمه وأفضليته على من سبقه بل على جميع أصحاب النبي، كما بيّن في نفس الوقت خطأ تصدي من سبقه للخلافة، وتحليله للأوضاع التي آلت إليها الأمة على أثر ذلك. ولا

---

(١) قيل أن أول من أشار إلى التشكيك في انتساب كلمات **(نهج البلاغة)** الذي ألفه الشريف الرضي ت ٤٠٦ هـ إلى الإمام علي عليه السلام كان: ابن خلكان ت ٦٨١ هـ.. وتابعه في ذلك الذهبي ت ٧٤٨ هـ..

سيما في الخطبة المعروفة بالشقشقية..وهذا بعينه يجري هنا في قضية فاطمة ومحاكمتها الخليفة بين الملأ بالبرهان والدليل.. كما سنشير إليه أيضا.

فمن الطبيعي أن ما يخالف التوجه الرسمي الذي تم وضع التاريخ وكتابته على أساسه، أن لا يسمح له بالانتشار، وكان من الانصاف لو تم أخذ وجهة النظر هذه بعين الاعتبار وموازنة الأمرين واصلاح الخطأ، إلا أنه وللأسف بدلا من ذلك، تم إشهار ذلك التوجه الرسمي والتعمية على هذا الجانب بل تكذيب صدوره، فإن اصحاب هذا التوجه لا يستطيعون أن يغضوا من شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وإن حاولوا.. ولا يمكن لهم أن يقولوا لا يهمنا كلام علي بن أبي طالب!! فهو في الحد الأدنى عندهم صحابي، وخليفة راشد! وإن حاولوا ذلك بالنسبة لفاطمة حيث قالوا هي معصومة والنساء عاطفيات تغلبهن المشاعر!!

المهم: أننا سوف نرى من القرائن ما يثبت انتساب الخطبة للسيدة الزهراء عليها السلام، من خلال ذكر عدة نقاط:

◄ الأولى: هل البرهان العقلي يحتاج إلى سند لإثباته؟

بالرغم إجهاد بعض المخالفين نفسه للخدش في أسانيد الخطبة.. إلا أن بعض الباحثين يقولون: إننا لا نحتاج إلى سند للخطبة في شأن الاحتجاج وهو الأمر الذي استأسد الطرف الآخر لنفيه وذلك، لأن طريقة الاحتجاج والمناظرة لا تقوم على أساس

النقول، والأخبار أو الأسانيد وإنما تقوم بشكل أساس على سلامة البرهان والدليل الذي يحتج به هذا الطرف أو ذاك! هذا هو قانون الاحتجاج والمناظرة والمحاكمة..

فإن برهان النظم ودلالته على التوحيد، ليس نابعا من أن الله قال ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] وإنما لأن هذه المعادلة تامة، ومتى عرضتها على أي عقل سليم فإنه ينتهي إلى نفس النتيجة! أن وجود الالهة المتعددة نتيجته خراب الكون، فمادام الكون صالحا فلا بد أن لا يكون هناك آلهة وإنما هو إله واحد. وسواء جاء به القرآن أو لم يأت به، فهذا القانون صحيح وسليم.

والدليل الذي قام على عصمة النبي ﷺ من أنه لو لم يكن معصوما لكان ممكنا أن يخطئ والعياذ بالله ويكذب ويرتكب المحرمات بل أن يكفر بالله وفي هذا من نقض الغرض في رسالته ما هو واضح، بل لكان آحاد رعيته أفضل منه، ولكان عليه أن يتبعهم لا أن يتبعوه لو أذنب وهم غير مذنبين!

وهكذا عندما تناقش فاطمةُ الخليفة بأدلة قرآنية، وترد قوله الذي تفرد بنقله من أن الأنبياء لا يورثون أبناءهم، بآيات محكمات متعددة من القرآن الكريم تثبت فيها وراثة الآنبياء بعضهم من بعض وفيها اطلاق شامل للمال، بل لا معنى واضح غير المال إذ النبوة

(١) سورة الإسراء: آية ٢٢

ليست مما يورث! وحتى لو جاءت لابن نبي فليس لأجل الوراثة! فكم من أبناء الأنبياء وآبائهم لم ينالوا نبوة؟ فإن هذا الاحتجاج ليس بمفتقر إلى أن يكون هناك سند له أو ليس له سند! وربما لهذا السبب ولأسباب أخرى ترك الطبرسي[1] في كتابه الاحتجاج الاعتماد على الأسانيد، وجاء بالوقائع مجردة عن الأسانيد.

إذن هذا هو الرأي الأول الذي يقوله بعض العلماء بأننا لا نحتاج أساساً في قضايا الاحتجاج والمناظرات والعقائد إلى سند وإنما نحتاج إلى نفس الدليل.

وربما لهذا السبب أثنى الإمام الصادق على كلام هشام بن الحكم، وحواره مع عمرو بن عبيد[2]، مع أنه لم يكن بحسب

(١) ذكره الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب ٢/ ٤٤٤ بما ملخصه: المحدث الثقة الجليل أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي صاحب كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج وهو كتاب معروف فعن المجلسي (ره) أنه قال وكتاب الاحتجاج وان كان أكثر اخباره مراسيل لكنه من الكتب المعروفة وقد اثنى السيد ابن طاووس على الكتاب وعلى مؤلفه وقد اخذ عنه أكثر المتأخرين قال (ض) وكثيرا ما ينقل الشهيد في شرح الارشاد فتاواه وأقواله انتهى. وله الكافي في الفقه وفضائل الزهراء عليها السلام وغير ذلك وهو من مشايخ ابن شهرآشوب المتوفى سنة ٥٨٨.

(٢) العلامة المجلسي؛ بحار الأنوار ٥٨/ ٢٤٨ عن مجالس الصدوق: كان عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين، ومؤمن الطاق وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم وهو شاب.

الفرض قد قرأه في كتاب أو نقله عن معصوم! فقد جاء هشام بن الحكم إلى الإمام الصادق عليه السلام -أحد أصحاب الإمام - فقال له الإمام: أخبرني كيف صنعت مع عمرو بن عبيد - أحد المتكلمين من المدرسة الأخرى- في الاستدلال على الإمامة؟ فيقول قلت

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام، قال: لبيك يا ابن رسول الله، قال: ألا تحدثني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ قال هشام: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني اجلك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشئ فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة. وعظم ذلك علي، فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها. فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم، أنا رجل غريب، تأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال: فقال: نعم، قال: قلت له: ألك عين؟ قال: يا بني أي شئ هذا من السؤال؟! فقلت: هكذا مسألتي. فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها، قال: فقال لي:

سل، قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما ترى بها؟ قال: الألوان والاشخاص. قال: قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أتشمم بها الرائحة.

قال: قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أعرف به طعم الأشياء. قال: قلت: ألك لسان؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أتكلم به، قال: قلت: ألك اذن؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الأصوات. قال: قلت: ألك يد؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أبطش بها. قال: قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أميز كل ما ورد على هذه الجوارح. قال: قلت:

له: عندك يد؟ فقال نعم، عندي يد. فقال له: عندك عين؟ قال: نعم. قال له: ماذا تفعل بها؟ قال: كذا أصنع. قال له: عندك أنف؟ قال: نعم كذا أصنع به. قال له: عندك فم؟ قال: نعم كذا أصنع به. قال له: عندك قلب -اي عقل- قال: بلى. قال له: ما تفعل به. قال: يسيطر على كل هذه ويوجهها. قال له: موقع الإمام هو موقع القلب من البدن. العين ترى والأنف يشم واليد تبطش لكن يوجد هنالك ناظم يجمع هؤلاء ويحرك كل هذه فموقع الإمام هو هكذا.

هشام بن الحكم لم يكن قد سمع نص هذا الكلام من أحد ولكن هذا الكلام كلام مبرهن لا يحتاج بأن يقول أنا سمعته من

أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني إن الجوارح إذا شكّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته رد ته إلى القلب فييقن اليقين ويبطل الشك. قال: فقلت: إنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قال: قلت: فلا بد من القلب وإلا لم تستقم الجوارح؟ قال: نعم، قال: فقلت: يا أبا مروان إن الله - تعالى ذكره - لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح ويبقن ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل شيئا. قال: ثم التفت إلي فقال: أنت هشام؟ فقلت: لا، فقال لي: أجالسته؟ فقلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: فأنت إذا هو، قال: ثم ضمني إليه وأقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت. فضحك أبو عبد الله الصادق عليه السلام ثم قال: يا هشام من علمك هذا؟ قال: قلت: يا ابن رسول الله جرى على لساني. قال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى.

الإمام وأنقله عبر الروايات والأسانيد، ومن هذا الباب ترك صاحب كتاب الاحتجاج الشيخ أحمد بن علي بن طالب الطبرسي رضوان الله تعالى عليه الاعتماد على الاسانيد فقال في مقدمة كتابه:.. ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إما لوجود الإجماع عليه أو موافقته لما دلت العقول إليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف [1]..

◄ الثانيةً: استفاضة الخطبة تغني عن تتبع سندها

يعتقد بعض الباحثين أن هذه الخطبة لا تحتاج إلى تحقيق السند نظراً لكثرة الأسانيد وتظاهرها وتظافرها واشتهار الخطبة بحيث أصبح يستدل بها ولا يستدل عليها. ومن المعروف بين العلماء أن اشتهار كلام وتظافر رواياته، يكون من أقوى القرائن على صحة انتسابه، بل يراه البعض أقوى من ثبوته بسند واحد صحيح وجهة ذلك أنه إذا تعددت الطرق، واشتهرت الرواية في الأجيال المختلفة تفيد علما عرفيا بانتسابها إلى قائلها، وهذا أقوى من صحة السند الذي يبقى في دائرة الظن **(وإن كان معتبرا)** كما هو مفاد خبر الثقة.

سيأتي بعد قليل الاشارة إلى أن أهل اللغة تطرقوا إلى الخطبة وأشاروا إليها عند حديثهم عن عدد من الكلمات التي سبق وأن وردت في خطبة الزهراء عليها السلام، وأن الفقهاء أيضا تعرضوا لها واستشهدوا بما ورد فيها مما يتصل بالأحكام الشرعية، وهكذا أهل التاريخ..

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج ١/ ١٠ مقدمة الكتاب.

وأما أهل الحديث والرواية فقد ذكروا أن لها طرقا كثيرة، بعضها ينهيها إلى ابن عباس وبعضها ينهيها إلى زينب بنت أمير المؤمنين إلى فاطمة وهذه نفسها بعدة طرق أيضا بعضها ينتهي إلى زيد بن علي بن الحسين الشهيد وبعضها الآخر ينتهي إلى الإمام الباقر عليه السلام وبعضها إلى عبدالله بن الحسن من بني هاشم، بالإضافة – وهذا من الغريب ولم أعثر عليه ولكن مذكور في بعض الكتب – أن بعض هذه الطرق تنتهي إلى عائشة بنت أبي بكر، فإذاً هنالك طرق مختلفة متعددة متظافرة وآنئذ لا نحتاج إلى أن نروي بسند واحد عن فلان عن فلان عن فلان[1].

(١) وقد صرح بذلك المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه أبو هريرة ص ١٣٩ فقال: السلف من بني علي وفاطمة يروى خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده ومن بعده رواها لمن بعده، حتى انتهت إلينا يدا عن يد، فنحن الفاطميين نرويها عن آبائنا وآباؤنا يروونها عن آبائهم، وهكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمن الأئمة من أبناء علي وفاطمة ودونكموها في كتاب احتجاج الطبرسي وفي بحار الأنوار وقد أخرجها من اثبات الجمهور واعلامهم أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك بطرق وأسانيد ينتهي بعضها إلى السيدة زينب بنت علي وفاطمة وبعضها إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر، وبعضها إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن يرفعونها جميعا إلى الزهراء كما في ص ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج الحميدي، وأخرجها أيضا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني بالاسناد إلى عروة ابن الزبير عن عائشة ترفعها إلى الزهراء كما في ص ٩٣ من المجلد الرابع من شرح النهج وأخرجها المرزباني أيضا كما في ص ٩٤ من المجلد المذكور بالاسناد إلى أبي الحسين زيد

◄ الثالثة: متن الخطبة يصحح سندها

مما يذكر في هذا الاتجاه أننا نستطيع تصحيح السند بالمتن.. فلو أردنا أن نأخذ مثلاً القرآن الكريم والذي جاء به سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كان العامل الرئيس في إثبات أنه من الله عز وجل أنه كلام معجز من حيث المعنى ومن حيث الصياغة ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

وبالرغم من أن النبي كان عند الناس وخصوصا عند قريش صادقاً وأميناً ولكن الأساس الوثيق لهذا القرآن كان إعجاز القرآن معنىً ولغةً، فحتى الذي كان لا يعتقد بصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما يأتي ويعرض عليه القرآن بإعجازه يخضع له ويقتنع به[2].

وهذا الأمر بنسبة من النسب صادق في أخبار المعصومين عليهم السلام[3]، فإن لكل متكلم سبكا وصياغة خاصة للكلام، ومن خلاله يعرف

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده يبلغ بها فاطمة عليها السلام، ونقل ثمة عن زيد أنه قال رأيت مشائخ آل أبي طالب يروونها عن آبائهم ويعلمونها أولادهم..

(١) سورة الإسراء: آية ٨٨

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٧٨ قال الوليد بن المغيرة المخزومي لما سمع من النبي بعض آيات القرآن: ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته..

(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام: أعربوا حديثنا فإنا قوم فصحاء

أن هذا صحيح النسبة لفلان، أو غير صحيح، إن من السهل على العارفين بأساليب اللغة أن يميزوا مثلا بين شعر المتنبي وشعر نزار قباني! وما بين كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وكلام غيره[1].. وتمت الاشارة إليه فعندما نخرج من الأمر القرآني إلى باقي النصوص، نجد أن بعض العلماء يقولون أن ما ورد من الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**إن على كل حقٍ حقيقةً وعلى كل صوابٍ نوراً فما جاءكم عني فاعرضوه على القرآن فما وافق**

(١) قال ابن ابي الحديد في سياق رده على زعم أن نهج البلاغة منحول للامام عليه السلام: لان من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفا من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لابد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، فلا بد أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقتين، ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبى تمام، فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبى تمام ونفسه، وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه، لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبى نواس شيئا كثيرا، لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه، ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة.

وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا، ونفسا واحدا، وأسلوبا واحدا، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الابعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوله كأوسطه، وأوسطه كآخره....)

القرآن فخذوه وما خالف القرآن فدعوه» هو أحد المقاييس التي يعرف بها العالم صحة وسقم الرواية، فإنه عندما نجد لغة رواية من الروايات متهالكة متهافتة، نقول هذه الرواية ليست عليها مسحة البلاغة النبوية، أو قد يكون معناها معنىً ضعيفاً ركيكاً، نقول هذا المعنى ليس من المعاني التي يطرقها النبي أو الإمام، وهذا مما ذكروه في نهج البلاغة، فإنه عندما حدث التشكيك في كون خطبه وكلماته لأمير المؤمنين عليه السلام، كان أحد الأجوبة هذا الذي ذكرناه.

عندما تقرأ قصيدة لشخص ما ويأتي ويقول لك هذه القصيدة لأبي الطيب المتنبي فإذا كنت عارفاً باللغة وبالشعر تتأمل فيها قليلاً فتقول هذه القصيدة لا تخرج من فم المتنبي!، مستوى المتنبي أكبر وأعظم من هذه القصيدة.

وشاهد ذلك القريب أنه انتشرت قبل مدة من الزمان قصيدة[1] في موضوع علاقة الشيعة بالبكاء على الحسين ونسبت القصيدة لنزار قباني وعندما عرضت على العارفين قالوا ليس هذا أسلوب الشاعر ولا هو فكره ولا هي مفرداته ولا ألفاظه، ولا يمكن أن تخرج هذه الألفاظ من عنده، وبعد البحث تبين

(١) هي من قصائد الشاعر البحراني علي الغسرة ومنها:

سأل المخالف حين أنهكه العجب ... هل للحسين مع الروافض من نسب
لا ينقضي ذكر الحسين بثغرهم ... وعلى امتداد الدهر يُوقِدُ كاللَّهب!
وكأنَّ لا أكَلَ الزمانُ على دمٍ ... كدم الحسين بكربلاء ولا شرب
أوَلَمْ يَحِنْ كفُّ البكاء فما عسى ... يُبدي ويُجدي والحسين قد احتسب؟
فأجبته ما للحسين وما لكم ... يا رائدي ندوات آلية الطرب

أنها لشاعر من شعراء البحرين ولا ترتبط بنزار قباني، العارفون بالأدب وباللغة يستطيعون تمييز قصيدة المتنبي وقصيدة شاعر من هذا الزمان، وخطبة علي بن ابي طالب وخطبة فلان بن فلان في معانيها وفي أساليبها.

عندما نتأمل خطبة الزهراء عليها السلام نرى فيها من المعاني الراقية والعميقة التي لا تتيسر إلا لمن كان يفرغ عن معدن الوحي والنبوة ولا تأتي إلا لمن أخذ هذا العلم من سيد الأنبياء محمد -صلى الله عليه وآله. ونسبتها إلى فاطمة الزهراء عليها السلام هي كما قال الشاعر المتنبي عن ناقته: سَبوحٌ لها منها عليها شواهد.

وقسم من فقراتها قد ورد في كلمات أمير المؤمنين، والإمام الرضا -عليهما السلام- كما ورد أمثالها في خطبتها الثانية وهي تشكل نسيجا واحدا وقماشة متجانسة.

◄ رابعاً: هل القضايا التاريخية كالقضايا الفقهية تحتاج لسند متصل لاثباتها؟

هنا أريد أن يلتفت القارئ معي إلى الفرق بين الاثبات الفقهي والإثبات التاريخي، قسم من الناس يتصور أن القضايا التاريخية كالقضايا الفقهية لابد لكل شيء فيها من سند متصل وذلك لأنه سيترتب عليها أن يتم نسبة حكم لله تعالى. إلا أن الأمر في البحث التاريخي مختلف عن المنهج في البحث الفقهي فهو يعتمد على أساس القرائن ولذلك لا يستطيع المؤرخ ان يطلب في كل قضية

تاريخية تفصيلية سنداً متصلاً معتبرا لمن شهدها ولو كان كذلك لانعدمت التفاصيل التاريخية.

الآن لو نأخذ مثلاً غزوة بدر- ولا يوجد أشهر منها مع ذلك لا يستطيع مؤرخ أن يأتي بكل ما ورد فيها بأسانيد صحيحة، ولو أراد أن يقتصر على الأسانيد فإنه لا يستطيع إلا أن يأتي بعشر معلومات عنها، أما هذه التفاصيل الكثيرة فلا؛ وإنما هي تعضدها القرائن التاريخية، فلان قال هكذا وهذه النقطة حدثت في مكان ما، تتعاضد فتعطي انطباعا عند المؤرخ واطمئناناً بمثل هذا الموضوع.

حادثة إلقاء فاطمة الزهراء عليها السلام للخطبة هي قضية تاريخية بهذا المعنى، وليست حادثة فقهية أو حكم فقهي، فحينما أجمع القوم على منعها فدكاً خرجت إلى المسجد وألقت هذه الخطبة.

الموضوع التاريخي يحتاج إلى منهج تاريخي، ومن المنهج التاريخي كثرة القرائن مثلاً: نحن نأتي ونرى في كتب اللغة، كتاب اللغة ليس مخصَّصا للموضوع التاريخي ولكن مع ذلك نستطيع أن نستفيد منه، فنأتي ونرى بعض اللغويين في كلمة لُمّة، «**جاءت فاطمة في لُمّة من نسائها**» فإنه يذكر في لسان العرب[1] وفي النهاية لابن الأثير وفي غيره، مفردة لُمّة: جماعة من ثلاثة إلى عشرة، وقد ورد في الأخبار أن فاطمة عليها السلام لما أجمع الخليفة على منعها فدكاً أنها

(١) ابن منظور: لسان العرب ١/ ٢٠٣ وتاج العروس ١/ ٤٢ وتهذيب اللغة ١/ ٢٨٨ والفائق ٢١٣

خرجت في لُمّة من نسائها، هذا الناقل ليس بشيعي وليس بصدد إثبات الأمر العقائدي، وأيضا كلمة هَنْبَثَة لأنها قالت في آخر الخطبة «**قد كان بعدك أنباء وهنبثةٌ لو كنت شاهدها لم تكثر الخُطُبُ**».

◄ ورود الخطب في الكتب اللغوية والتاريخية:

من خلال هذه الخطبة نأتي ونرى كتب اللغة قد تحدثت عنها، أيضا كتب البلاغة التي تتحدث عن الأمور البلاغية مثل كتاب بلاغات النساء لابن طيفور أحمد بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٢٨٠ هجرية تقريبا وهو ليس من الشيعة وعنده كتاب خاص بالنساء البليغات وخطبهن البليغة وهو ليس في صدد الحديث عن موضوع ديني أو عقائدي وإنما في صدد الحديث على أن عدداً من النساء المسلمات كن بليغات في اللغة العربية ومتضلعات، فأورد خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام باعتبارها نموذجاً أعلى في البلاغة. فهو ليس هو في أمر عقائدي وإنما في صدد الاستشهاد على الموضوع البلاغي.

كما أوردتها الكتب التاريخية مثل كتاب السقيفة وفدك لأحمد بن عبد العزيز الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣ هجرية، وهذا من مشائخ الطبراني صاحب المعجم وهو كما وصفه ابن أبي الحديد وغيره أنه رجل حافظ للأخبار، كثير العلم، حسن التصانيف، ورعٌ في النقل وبالرغم من أنه لم يكن على مذهب الإمامية إلا أنه أثبت هذه الخطبة في كتابه السقيفة وفدك.

هذه القرائن منضمة بعضها مع البعض الآخر من استشهادات

لغوية، ومن إيرادها كنموذج من نماذج البلاغة وأمثال ذلك من إيرادها في الكتب التاريخية لغير المؤرخين الإمامية، تفيد عن حصول هذه الخطبة وإلقاء فاطمة عليها السلام لها، وهذا بناء على المنهج التاريخي في البحث يكون من القرائن القوية، وبالطبع هنالك قرائن كثيرة أخر لا يسع المقام لذكرها.

أخيراً بعض الطرق التي ذكرها محمد بن جرير الطبري الإمامي، فهي حتى بالمعنى الفقهي الخاص على بعض المسالك الرجالية لها أسانيد معتبرة وصحيحة، وبالتالي من زوايا مختلفة يُصَحّحُ انتساب وانتماء هذه الخطبة إلى سيدتنا الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ولقد نقلها كثير من المؤرخين في كتبهم. لقد كانت هذه الخطبة منذ وقت مبكر محل الاهتمام؛ فقد كتبت على الرغم من أن في تلك الفترات كان أمر التدوين والكتابة ممنوعا من الناحية الرسمية.

بعد هذا كما ذكرنا بمدة كان ابن ابي طيفور، وبعده كان الجوهري في كتابه السقيفة، وبعده كان الشيخ الصدوق – أعلى الله مقامه – صاحب من لا يحضره الفقيه أورد فقرات منها في كتابه علل الشرائع، وبعده كان محمد بن جرير الطبري صاحب دلائل الإمامة، وبعده كان الطبرسي صاحب الاحتجاج، وبعده ابن أبي الحديد المعتزلي شارح النهج وهكذا، وهي من حيث المعاني الموجودة فيها سبكاً ومضموناً لا يمكن إلا أن تأتي من هذا المعين ومن هذا المعدن الذي يغرف من لسان رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

طبعا تكتسب الخطبة أهميتها من شخصية المتحدثة فيها وهي سيدة النساء المعصومة التي لا تنطق جُزافا ولا تجاوز الحق قيد أنملة وهي المطهرة بنص آية التطهير وهي الممثلة لكل نساء المسلمين بنص آية المباهلة وهي التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها.

الخطبة الفدكية
ميزاتها ومواضيعها

من خطبة سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام في ردها على أبي بكر أنها قالت في جواب لما أورد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**»، قالت عليها السلام:

«**سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ كِتابِ اللهِ صادِفاً، وَلا لِأحكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(١)، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانَ داوُدَ﴾(٢)**».

نتناول بعض مميزات خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام وإجمال مواضيعها، هذه الخطبة التي لم تستغرق فترة زمنية طويلة بحسب مقدار الكلمات التي قيلت فيها إلا أنها احتوت على كثير من المميزات التي جعلتها فريدة من نوعها.

---

(١) سورة مريم: آية ٦

(٢) سورة النمل: آية ١٦

هل الظروف ساعدت الزهراء عليها السلام في صياغة هذه الخطبة البليغة:

يلاحظ أن كل الظروف كانت تعاكس أن تنتج الزهراء عليها السلام هذا الكلام البليغ لفظا، القوي تركيبا، العظيم مضمونا، إن كل الظروف التي أحاطت بالسيدة الزهراء عليها السلام تقتضي خلاف هذا الأمر، فإنها من الناحية النفسية في ذلك الوقت كانت فاقدة لأبيها ومظلومة في حق زوجها، وأيضا بناء على أن الخطبة بعد الهجوم على دارها وهذا سوف نتحدث عنه إن شاء الله فيما بعد كيف تسلسل الأحداث من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى شهادتها عليها السلام، أقول هذه الظروف لا تساعد المتكلم على أن يكون بليغ اللفظ ولا أن يكون مُرَكِز الفكر ولا أن يكون قوي التركيب، تصور أن يكون بالك مشغولاً بشيء معين حينها أنت لا تستطيع أن تنظم الكلام تنظيما قويا، ربما لا تستطيع أن تخوض في أعماق المعاني، الزهراء عليها السلام لم تكن هكذا، بل كانت في وضع نفسي غير حسن، أضف إلى ذلك جانب الارتجال، المتكلمون يعرفون أن الإنسان عندما يرتجل كلاماً على البديهة من غير إعداد واستعداد، من الممكن أن يقدم ويؤخر ويتخبط ولا يركز، ونفترض أن هذه الخطبة أيضا كانت على البداهة والارتجال، هذا أمر آخر.

الأمر الثالث هو كونها امرأة في محضر رجال بالتالي فالمسجد كان مليئاً بالرجال المسلمين مهاجرين وأنصاراً، والزهراء عليها السلام جاءت ونيطت دونها ملاءة (**قطعة قماش**) حتى تستتر عنهم ثم

خاطبتهم، ومع ذلك فإن هذه الخطبة احتوت على ميزات كثيرة جداً نشير إلى قسم منها بمقدار ما يتسع منه الوقت هذا من جهة وبمقدار ما نفهمه نحن من جهة أخرى.

◄ الخطبة بين الخطاب العقلي والعاطفي:

من هذه الميزات أننا نلاحظ تزاوجاً في هذه الخطبة بين العقل والعاطفة بدرجة كبيرة، بعض الخطابات تكون خطابات عاطفية تحتاج إلى أسلوب معين وبعضها الآخر خطابات علمية (**دروس، أبحاث، محاضرات عميقة**)، فهذه تحتاج إلى اسلوب خاص وتلك الخطبة العاطفية المشاعرية تحتاج إلى اسلوب آخر، ومن العسير عادة أن يجعل الإنسان نفس الخطبة العلمية كأن يلقي مثلا درسا في الأصول أو درسا في الفيزياء أو غير ذلك ويستخدم أسلوبا عاطفيا ومشاعريا محركا للإنسان، وكذا العكس فعندما يريد أن يحرك عواطف المستمع يصعب عليه أن يخوض في أمور علمية دقيقة ومركزة.

خاضت الزهراء عليها السلام في هذه الخطبة في أدق المباحث العلمية فيما يرتبط بمعرفة الله عز وجل، فقالت عليها السلام: «**اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها**» يتساءل العلماء عن هذه الجملة لماذا قالت «**لا من شيء كان قبلها**» ولم تقل: ابتدع الأشياء من لا شيء كان قبلها؟، وهذا بحث مهم في العقائد، وهكذا عند استدلالها بآيات القرآن استدلالاً فقهياً، ومعالجتها للآيات العامة والمطلقة ودعوى التخصيص وهل هناك مانع من انعقاد العموم؟ وغير ذلك من المباحث التي يذكرها

علماء الفقه والأصول فهذا الجانب العلمي نراه موجودا في خطبة الزهراء عليها السلام.

كذلك فإن الجانب العاطفي والمشاعري والإثارة القلبية أيضا كان موجودا في ثنايا هذه الخطبة، ولذلك تفاعل الناس بالبكاء عند استماعهم للخطبة، «**إِيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أُأْهْضَمُ تُراثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُنتدىً وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخِبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ**» أو في موضع آخر تقول:«**أَلا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ**».

كما أنها تضمنت تقريع المخاطبين من خلال التذكير بالماضي المشرق الذي كان للأنصار في نصرة النبي ورسالته والحاضر السيء من الخذلان والتراجع «**نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنا رَحَى الإسلام، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيّامِ**»، أو قولها: «**فمججتم الذي شربتم فأنّى حرتم بعد البيان؟، ونكصتم بعد الاقدام، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ**» – أي تقيأتم ذلك وتراجعتم عن كل تلك المواقف السابقة – هذه الجهة العاطفية في أرقى درجتها وهناك الجهة العلمية كذلك كانت في أرقى درجتها.

◄ المنهج المنطقي لإحداث التغيير في المجتمع:

هذه الخطبة تجمع بين خطابين، خطاب لعامة الناس وخطاب

لرئيس الدولة:

إننا نلاحظ في العمل السياسي أن يكون أحد منهجين لتحقيق المطالب من الشعوب:

الأول: يقول بأنك إذا أردت أن تحقق مطالبك اكتب لرئيس الدولة، خاطب رئيس الدولة مباشرة ليس لك شغل بعامة الناس، لا تتحدث بشكل علني وجماهيري لعامة الناس.

والآخر: أن تحقق مطالبك من خلال تحويل القضية إلى قضية رأي عام، وهذا يشكل ضغطاً على رئاسة الدولة، فلا ترى طريقا لها إلا الاستجابة لتلك المطالب، وهذا ملحوظ في الغرب والدول الديمقراطية يلاحظ كيف أن بعض الزعماء الدينيين أو السياسيين يخاطبون جماهير الناس فينزل الجمهور إلى الشارع ويضغطون على الرؤساء والحكام، فهذان منهجان مختلفان.

وقد جمعت الزهراء عليها السلام في هذه الخطبة بين النهجين، في نفس الوقت الذي خاطبت الأنصار وهم القوة الكبرى في المدينة الذين كانوا محل اعتماد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما يريد أن يتخذ قراراً عاماً كان ينتظر خبر الأنصار.

ففي قضية بدر مثلاً حينما وصل الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قريشاً حركت قواتها باتجاه المدينة المنورة للقتال مع أصحابه، أخبرهم بذلك وقال لهم أشيروا علي، فقام بعض الصحابة وقال:«**هذه قريش وخيلاؤها ما ذلت منذ عزت**» أي أن قريشاً ليست بالأمر

السهل، فلم يعجب ذلك القول رسول الله ﷺ، وبعدها قام آخر وقال نفس الكلام أو قريبا منه ولم يعجب الرسول فقال الرسول ﷺ أيضاً: هيه! فقام سعد بن عبادة وقيل سعد بن معاذ – وهما أنصاريان – فقال للرسول ﷺ: وكأنك تريدنا يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ: بلى، فقال يا رسول الله إنا آمنا بك، صدقناك واتبعناك فخض بنا البحر فلو أمرتنا أن نخوضه لخضناه معك – يعني أي شيء تريده يا رسول الله نفعله تريد أن نخرج للقتال نخرج، أو تريد أن نتحصن سوف نتحصن، نحن رهن إشارتك وطوع أمرك – فَسُر رسول الله ﷺ بذلك، وهؤلاء الأنصار كانوا يشكلون القوة الكبرى في المدينة.

السيدة الزهراء عليها السلام أيضا خاطبت الأنصار «**إِيْهاً بَنِي قَيْلَةَ**»[1] في هذا الموضع وفي موضع آخر كما سيأتي.

وكذلك خاطبت رئيس الدولة: «**أفي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أبي؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا﴾**[2]، **أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ أمام الناس**».

ولما رد عليها أيضاً بعد هذا فَقَالَ: «**يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفاً كَرِيماً، رَؤُوفاً رَحِيماً، وَعَلَى الْكافِرِينَ عَذاباً**

(١) ذكروا أن قيلة هي جدة الأوس والخزرج، وهما فرعا الانصار، وهذا من ذكاء الخطاب حيث خاطبتهم باعتبارهم وحدة واحدة.
(٢) سورة مريم: آية ٢٧

أَلِيماً وَعِقاباً عَظِيماً ما عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: نَحْنُ مَعاشِرَ الْأَنْبِياءِ لا نُوَرِّثُ ذَهَباً وَلا فِضَّةً وَلا داراً وَلا عِقاراً، وَإِنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ»

هنا انبرت إليه الزهراء عليها السلام مرة أخرى وقالت له «**سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كِتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأحكامِهِ مُخالِفاً**»، فهي عليها السلام تشير له في كلامها هذا أنه هل أنت واع لما تقول وملتفت؟ كيف يخالف الرسول ﷺ كتاب الله ولا يتبعه فأنت تتهم النبي بشيء عظيم.

إذن جمعت الزهراء عليها السلام في هذه الخطبة بين خطين في الخطاب السياسي وهذا معروف عند المعاصرين بين خطاب الجمهور وإثارة الجمهور بل وتحريضه، ﴿**أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**﴾[1]، وهذه ميزة أخرى في خطبة الزهراء عليها السلام.

◄ جمع الزهراء عليها السلام في خطبتها بين تحليل القضية وتحميل المسؤولية:

هناك ميزة أخرى وهي أنها جمعت بين التحليل في القضية والتحميل للمسؤولية، فقد تجد عند المتكلم أو الكاتب منهج التحليل بعد التوصيف، كما يصنع الخبير الذي يحلل القضية تحليلاً علمياً ولا يرتبط حديثه بتحريك الناس أو تحميلهم المسؤولية،

(١) سورة التوبة: آية ١٣

فربما يتحدث عن الأزمة الاقتصادية في بلد ما ويشير إلى أسبابها العالمية أو المحلية، لكنه لا يتوجه بخطاب للناس.

بينما يأتي آخر يحرص في خطابه على الحديث مع الناس، فالواعظ الديني أو المربي الأخلاقي أو الزعيم السياسي الذي يريد إشراك الناس في حل الأزمة الاقتصادية سوف يتحدث في خطابه عن عدم الإسراف وحسن التدبير في المعيشة فهو يحمل الناس مسؤوليتهم ويأمرهم بفعل كذا وترك كذا لمواجهة هذه الأزمة الاقتصادية، فهناك كان الخطاب تحليليا وهو كشف الأسباب التي أدت لهذه الأزمة وهنا اختلف المنهج ليصبح توجيهيا افعلوا كذا أو اتركوا كذا.

جمعت الزهراء عليها السلام في هذا الخطاب بين الأمرين، فبينت لماذا حصل الانقلاب؟ وكيف تحقق الانحراف؟ وأن القضية غير منفصلة عن سياقها التاريخي، إذ يوجد تأريخ لهذه الفئة وكان ذلك كما خاطبتهم «**تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ**»

بينما تأريخنا أهل البيت هو «**قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ**» هذا تحليل للقضية وفي الطرف الآخر تحميل للمسؤولية، مسؤولية الحاضرين وأنهم لابد لهم بأن يتحركوا ويواجهوا وإلا فإنهم مسؤولون.

هذه وما سبقها من ميزات الخطبة الشريفة. وأمَّا:

◄ **مجمل مواضيع الخطبة:**

فبالرغم من أن في كل فقرة موضوعا، وهداية، وإرشادا وفكرة، إلا أننا سوف نجمل المواضيع بشكل عام.

◁ **بداية خطبة الزهراء عليها السلام بالحمد والثناء**

افتتحت الزهراء عليها السلام حديثها بـ «**الْحَمْدُ للهِ**» ثم تعريف الله بعد الشهادتين.

كلمة الحمد هذه، هي بداية القرآن وبداية سورة الفاتحة ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾[1]،وهي كما ورد في الروايات خلاصة التنزيل والقرآن. وهي بعد البسملة افتتاح الفاتحة. وقد لا يتسع المجال للبحث المفصل في مفهوم الحمد ومركز هذا المفهوم في المنظومة الدينية، لكن بملاحظة عابرة لو نظرنا إلى خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وخطب أمير المؤمنين عليه السلام بل حتى الأدعية، نجدها تبدأ بالحمد، وهذا يبين أهمية هذا المفهوم.

وإذا أردنا أن نستفيد درسا أخلاقيا من ذلك فإننا نقول إنه ينبغي أن يكون موقف الإنسان حامداً لله عز وجل في كل أحواله، وبهذا ننتقد حالة بعضهم ممن تسأله عن أحواله فإذا به يتبرم بأوضاعه ويسرد عليك قائمة طويلة مما يفقده ويعاني منه فهو مريض بالسكري! وأوضاعه الزوجية سيئة وأمره المالي متعسر و.و. بينما لو نظر إلى ما لديه ونعم الله عليه لعجز عن عدها! فمن المهم أن

(١) سورة الفاتحة: آية ٢

يتعلم الإنسان الحمد لرب العالمين في كل أحواله! بل حتى التشكي هو نعمة!! فإن شكواه تشير إلى أنه يستطيع أن يدرك سوء حاله ويعبر عن ذلك بالشكوى فلو نظر إلى من هو أسوأ حالا منه ممن لا يشعر ولا يدرك أو يدرك ولا يستطيع الكلام.. لرأى نفسه في خير حال. احمد الله على ما أنت فيه واطلب منه سبحانه المزيد.

بدأت السيدة الزهراء عليها السلام بقضية الحمد«**الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأَها- ليس أنت من ذهب وراءها بل هو ﷻ ابتدأك بها- وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها**» هذه النعم لا حدود لها وليس أنت من حصلتها لنفسك بل هو الذي ابتدأك بها، عندما أنعم عليك بالوجود في هذه الحياة لقد خلقك ربك حين خلقك كاملا في أعضائك وفي أجهزتك الداخلية والخارجية. في وقت لم تكن شيئا مذكورا، «**لم تشهدني شيئا من خلقي ولم تجعل إليّ شيئا من أمري**» كما يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة، الله الذي أنعم عليك وأعطاك وأعطانا فالحمد لله على جميع نعمه.

◁ تعريف الزهراء عليها السلام لله تعالى وتنزيهه عن الرؤية:

ثم بعد ذلك عطفت الزهراء عليها السلام بالشهادة «**وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. المُمْتَنِعُ مِنَ الأبْصارِ**

رُؤْيَتُهُ»، فلا يأتي أحد ويقول روي عن الرسول ﷺ في بعض الصحاح[1] أنكم ترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون البدر ليلة كماله وتمامه، وللأسف فإن هذه عقيدة الأكثر من المسلمين **(باستثناء الشيعة والمعتزلة وقسم قليل من المحققين من الأشاعرة)** وإلا فإن الأمر كما جاء في الحديث بل هو أكثر فإذا كان الحديث المذكور يثبت رؤية الناس الله **(والعياذ بالله)** يوم القيامة، فإن هناك من أتباع المدرسة السلفية من يقول إن رؤيته **(سبحانه وتعالى عن ذلك)** في المنام ممكنة[2] بل هي حاصلة! بل لقد صرح أحد الدعاة

---

(١) الحَمِيدي، ابن أبي نصر: الجمع بين الصحيحين ١/ ٣٢٤ عَن جرير بن عبد الله قالَ: كُنّا جُلُوسًا لَيْلًا مَعَ النَّبِي ﷺ، فَنظر إلى القَمَر لَيْلَة أربع عشرَة فَقالَ: «**إِنَّكُم سَتَرَوْنَ ربكُم كَما تَرَوْنَ هَذا، لا تضامون فِي رُؤْيَته. فَإِن اسْتَطَعْتُم ألا تغلبُوا على صَلاة قبل طُلُوع الشَّمْس وقبل غُرُوبها فافعلوا. ثمَّ قَرَأ: ﴿فاصبر على ما يَقُولُونَ وسبح بِحَمْد رَبك قبل طُلُوع الشَّمْس وقبل الغُرُوب﴾ [سُورَة: ق]. وفِي رِوايَة:**» إِنَّكُم سَتَرَوْنَ ربكُم عيانًا «.

(٢) الراجحي، عبد العزيز: شرح الاقتصاد في الاعتقاد – ١٠/ ٩: رؤية الله في المنام ثابتة، يثبتها جميع الطوائف، إلا الجهمية من شدة إنكارهم للرؤية حتى أنكروا رؤية الله في المنام، قال شيخ الإسلام: إن جميع الطوائف أثبتوا رؤية الله في المنام إلا الجهمية؛ لشدة إنكارهم لرؤية الله حتى أنكروا رؤية الله في المنام..

ولكن في جواب للشيخ عبد العزيز بن باز ما لو تم التوجه له بدقة لكان ينتهي إلى إنكار هذه الرؤية المنامية فقد سئل: ما حكم من يدعي أنه قد رأى رب العزة في المنام؟ وهل كما يزعم البعض أن الإمام أحمد بن حنبل قد رأى رب العزة والجلال في المنام أكثر من

بقوله كما هو مسجل بالصوت والصورة على الانترنت بقوله «**سابقا كنت مترددا في أن الله يرى أو لا يرى ولكن الموضوع الآن عندي شيء طبيعي لأني رأيت الله عشر مرات**»!!.

هنا تأتي الهداية المعصومة، حيث تقول الزهراء عليها السلام «**الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأَبْصارِ رُؤْيَتُهُ**»، استحالة عقلية فلسفية، يمتنع على الأبصار أن تراه سواء كان ذلك في الدنيا أو الآخرة! وكذلك يمتنع «**مِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ**»، بل«**وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ**»، لاحظ التدرج في المراحل السابقة.

وما جرى على لسان الصدّيقة فاطمة هو المطابق للقرآن الكريم الذي يصرح بأنه ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ**

مائة مرة؟ وكان [الجَوابُ] الحمد لله

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون أنه يمكن أنه يرى الإنسان ربه في المنام، ولكن يكون ما رآه ليس هو الحقيقة؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ الشورى/ ١١ فليس يشبهه شيء من مخلوقاته، لكن قد يرى في النوم أنه يكلمه ربه، ومهما رأى من الصور فليست هي الله جل وعلا؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، فلا شبيه له ولا كفو له.

أقول: هذا الاستدراك من بعد لكن.. يعني أنه مهما رأى من الصور فليست هي الله.. وإنما صورة خلقها النائم ووهم وصل إليه، مثلما يصور حيوانا بألف رأس وبحرا من الذهب.. فهي لا تتجاوز الأوهام فكيف يقول شخص إنه رأى الله في المنام؟ إنما رأى أوهامه وخيالاته!

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]، ويقول لنبيه الكريم موسى بن عمران بعد أن طلب منه الرؤية لما سأله اليهود ذلك **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾**[2] ولن تراني نفي تأبيدي في هذه النشأة وما بعدها.

◁ **تعريف الزهراء عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:**

فالزهراء عليها السلام بعد الحديث عن معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته، عطفت بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتشهد له بالنبوة والرسالة **«وَأَشْهَدُ أَنّ أبي مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ»** وهذا لا يعني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم بنفسه وفجأة نزل عليه جبريل وغطه ثلاث مرات وأرسله! وأن النبي كما يقولون هرول قائلا زملوني دثروني! لا، بل اصطفاه الله بالرسالة وانتجبه قبل خلق الخلق والوجود، وهذا يفسر قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**كنت نبيا وآدم بين الماء والطين**». وكان يتراءى له الملك ويسلم عليه الشجر والحجر ويعرف الآخرون فيه علامات النبوة.. أفكان يجهل نفسه في ذلك بينما عرفه الأحبار والرهبان؟.

---

(١) الأنعام:١٠٣

(٢) الأعراف: ١٤٣

◁ **وصف الزهراء عليها السلام لحالة الأمم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:**

ثم تطرقت الزهراء للحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصف حالة الأمم قبل بعثته: «**فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ظُلَمَها**».

◁ **حديثها عن القرآن الكريم:**

انتقلت الزهراء عليها السلام بالحديث عن القرآن، فلاحظوا التسلسل بالحديث عن الأصول أولاً الله تعالى، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم القرآن الكريم باعتباره معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث التفتت إلى أهل المجلس وقالت:

«**أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُم، اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إِسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرائِعُهُ المَكْتُوبَةُ**». فهذا العهد الذي قدمه الله تعالى للمسلمين الذين يفترض أن يكونوا منتصبين لأمره واجتناب نهيه في حياتهم الشخصية مخلصين أمناء في ذلك،

بل وهم حملة القرآن وأحكامه إلى بقية الأمم والمبلغون، لما فيه فهو كتاب ولكنه ناطق وقرآن صادق ونور ساطع، وهو لكل الناس لا لفئة دينية خاصة تقرأه وتخبر سائر الناس بما فيه، كما هو حال اليهود وإنما هو بصائر بينة وظواهر ألفاظه جلية فهو حجة على كل من يؤمن به إذ أنه مخاطب به وظواهر القرآن مفهومة عنده. وهذه العبارات يمكن الاستدلال بها على حجية ظواهر القرآن الكريم، وهذا الكتاب المجيد فيه حُجَجُ اللهِ والأدلة عليه، وعَزائِمُهُ وَرُخَصُهُ وَفَضائِلُهُ، وَبيان مَحارِمه وتحذيراته، وَبَيِّناتُهُ، وَبَراهِينُهُ، وَشَرائعُهُ فهذه كلها يجدها الناظر في القرآن، وكلٌّ يغترف بمقدار وعائه منها.

◁ حديث الزهراء عليها السلام عن التشريع وفلسفته:

من خلال القرآن الكريم نفذت عليها السلام إلى الحديث عن التشريع: «**فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتاً للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزاً لِلإسلام، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ**».

حيث بينت أن لكل تشريع في الإسلام حكمة وأن هذه العبادات ليست من غير فلسفة، فثبتت وجود التشريع ولزومه مما

ينفي قول بعض المتصوفة ومن يؤمن بأفكارهم من أن الغاية هي الإيمان والتقوى وإنما العبادة طريق إلى ذلك وجسر للوصول، فإذا حصل المرء على الغاية فلا داعي للطريق وهو العبادة، وقد نجد أمثالا معاصرة لهؤلاء عندما يقول إن قلبه عامر بالايمان ولذلك فلا داعي للصلاة! أو تقول إنها مؤمنة في قلبها فلا داعي للحجاب لأن المهم هو الجوهر.. كل ذلك كلام باطل! فإن الله شرع الدين وجعل العبادات الطريق الوحيد للوصول إليه، فلا يقبل منه طريق آخر ولذلك عاقب على تركها وكان الانبياء أول المطالبين بها مع كمال إيمانهم!.

نعم هذه العبادات ليست بلا غرض وإنما هي هادف أن توصل الإنسان للتكامل كما ذكرت الزهراء ويأتي تفصيلها في صفحات قادمة.

◁ **إعلموا أني فاطمة:**

وبعد أن انتهت عليها السلام من الحديث عن التشريعات الإسلامية والعبادات وأنها ذات حكمة وذات فلسفة، عادت مرة أخرى لذكر النبي وذكر الإمام علي صلوات الله عليهما حيث لا يكتمل معرفة القرآن الكريم ولا يكتمل معرفة الله عزوجل ومعرفة النبي إلا بمعرفة الولي والوصي، فهنا عطفت على ذكر الإمام علي عليه السلام وقالت مخاطبة الناس «**أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وآله وسلم**، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ**

شَطَطاً ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] فَإِنْ تَعْزُوه - أي تنسبوه- وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأَخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمُعْزِيُّ إِلَيْهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إِلى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ»

◁ **حديثها عليها السلام عن جهاد علي عليه السلام بين يدي رسول الله:**

بعد ذلك تثني عليها السلام على علي عليه السلام فتقول: «**كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ، أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سِيِّدَ أَوْلِياءِ اللّهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً، وَأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ**».

نحن منا التضحية فمنا حمزة عليه السلام ومنا جعفر وبقية هذه الأسرة الطيبة، وجروح أمير المؤمنين التي لا تحصى خير دليل على ذلك.

---

(١) سورة التوبة: آية ١٢٨

في الطرف المقابل «**تتوكفون الأخبار – أي تسألون ماذا حصل ماهي الأخبار هل انتصر جيش المسلمين أو انهزم – وتنكصون عند النزال وتفرون من القتال – كما حصل في معركة حنين حيث انهزم بعضهم هزيمة صلعاء تذكر إلى يومنا هذا**».

◁ **احتجاجها على الخليفة الأول:**

تنتقل الزهراء عليها السلام بعد هذا بالاحتجاج على الخليفة الأول بالقرآن وتقول«**أفي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أبي؟﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا﴾، أفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ اذْ يَقُولُ:﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾، وَقالَ فيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا عليه السلام اذْ قالَ رَبِّ ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياًّ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾**».

هكذا بدأت تتلوا الآيات على الخليفة وعلى الجهاز الحاكم وتضيق عليه وإذا قام بالرد عليها، تقول عليها السلام «**أفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ مِنْها أبي؟ أمْ هَلْ تَقُولونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ، أوَ لَسْتُ أنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! – إلا إذا وصل بكم الأمر أن تخرجوني عن ملة الإسلام – أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟ فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً، تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ يخسَرُ المبطلون– فيوم القيامة هناك نتقابل ولا ينفع هناك حرق الدار أو السيف أو.. أو..، هناك فقط عدل الله عزوجل ليس إلا – وَلا يَنْفَعُكُمْ**

إِذْ تَنْدَمُونَ، ﴿وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1] ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾»[2].

◁ **استنهاض المهاجرين والأنصار للنصرة:**

ثم عطفت على الحاضرين تستنهضهم مرة أخرى: فقالت «**يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإسلام، ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ - السِنة معناها بدايات النوم - أما كانَ رَسُولُ الله ﷺ أَبِي يَقُولُ: اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إِهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ**».

وهكذا ظلت تقرع الموقف المتخاذل من الأنصار تقريعا بعد تقريع، أقول ولعل هذا مما جعل موقف الأنصار على مدى التأريخ أنهم يشعرون بالندم وأنهم لم يقوموا بواجبهم تجاه أهل البيت عليهم السلام فكانت مواقفهم بعد ذلك إجمالا أفضل من غيرهم، فربما هذا الكلام لم يؤثر فيهم في نفس الوقت ولكنه ظل يجري في نفوس الأنصار وأبنائهم في المستقبل إلى أن غيّروا مواقفهم.

ثم رجعت مرة أخرى لمناقشة الخليفة عندما جاء بحديث غير معروف عند أهل البيت عليهم السلام في أن النبي لا يورث، فردت عليه بما ذكرناه سابقا بأن النبي ﷺ لا يمكن أن يخالف كتاب الله ولا

(١) سورة الأنعام: آية ٦٧
(٢) سورة هود: آية ٣٩

يمكن أن يصدف ويترك أحكام الله ﷻ وأن هذا انتحال منكم عليه «**أَفَتَجْمَعُونَ إِلى الْغَدْرِ اْعتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ**»

علاوة على أنكم ما قبلتم بالوصية يوم الغدير، فما بين الغدير والغدر سوى سبعون يوماً، فيوم الغدير كان في الثامن عشر من ذي الحجة، والغدر كان في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر، أيضا قمتم بتزوير وتحريف هذه الأحاديث، وفي هذا المقطع أيضاً «**وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ**» إشارة إلى «**تتربصون بنا الدوائر**» أي أنها مؤامرات منذ زمن كانت موجودة.

وبهذا انتهت الزهراء عليها السلام من خطبتها إلى هذا المدى.

الاقتباس القرآني
في خطبة فاطمة الزهراء

تتناول هذه الصفحات أحد شؤون القرآن الكريم في خطبة الزهراء وهو قضية الاقتباس القرآني في خطبة هذه الصديقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام.

وللتذكير والتامل في كلماتها سلام الله عليه فإنها قد وصفت القرآن بأنه «**كِتابُ الله النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ..**» إلى أواخر كلماتها صلوات الله عليها، في هذا المعنى يستفيد العلماء عدة أمور:

◄ سلامة القرآن الكريم من التحريف

أن القرآن الكريم لم يطرأ عليه تحريف لا بالزيادة ولا بالنقيصة، هذا الأمر الذي يؤكد عليه القرآن من جهة بوعد الله له بالحفظ ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1]، هذا المعنى أكده عليه كل

(١) سورة الحجر: آية ٩

المعصومين عليهم السلام، أن هذا القرآن هذا الكتاب مصدر هداية للبشر ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان سليماً عن التحريف زيادة ونقيصة، وذلك لأن أي نوع من أنواع النقص في القرآن الكريم أو أي نوع من أنواع الزيادة فيه لا ريب أنها لن تهدي الإنسان وإنما تضله، فلو افترضنا مثلاً أن هناك آية أو آيتين أو عشر آيات أو أكثر أو أقل بانها ناقصة من القرآن الكريم فإن معنى ذلك أن الإنسان المسلم عندما يقرأ هذه السورة لن يصل إلى الهداية، ستكون هدايته ناقصة بنقص هذه الآيات.

والأمر أوضح عندما يكون فيه زيادة، فلو أن شخصاً ادعى أن القرآن فيه آيات وضعت من قبل أشخاص وعمل على طبقها هذا الإنسان فإنه يعمل على غير هُدى الله سبحانه وتعالى وآنئذٍ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾[1]، فمن جملة ما يستفاد من كلمات الصديقة الطاهرة عليها السلام، أن هذا القرآن الكريم هو عهد الله عز وجل، هو بقية الاستخلاف الإلهي عند الناس بعد أن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يبقى بمقتضى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2]، لكن هذا العهد الإلهي الكتاب الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضياء اللامع الذي له هذه الصفات متجلية ظواهره منكشفة سرائره قائد إلى الرضوان اتباعه مؤدي

(١) سورة يونس: آية ٣٥
(٢) سورة الزمر: آية ٣٠

إلى النجاة استماعه هذا لا يمكن إلا أن يكون كاملاً لا يتطرق إليه نقص أو زيادة.

◄ ظواهر القرآن الكريم حجة على الإنسان المسلم

وهذه النقطة من الأهمية بمكان وهي أن الظاهر القرآني حجة على الإنسان المسلم فقد أُعطي القرآن الكريم لكي يكون دستوراً له، وحتى يكون دستوراً فلابد أن يكون مفهوماً بالنسبة إليه. لا يمكن أن تعطي دليل استعمال لجهاز مثلاً ويكون غير مفهوم لصاحبه، لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1].

هناك بحث عند علمائنا وهو هل أن ظواهر القرآن الكريم حجة للفقيه يستطيع أن يستنبط منها الأحكام، فإذا رأى مثلاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[2]، يقول لك لفظة اغسلوا تدل على الإلزام والوجوب فإذن غسل الوجه واجب بنص القرآن الكريم، هذا لا يتيسر إلا إذا قلنا أن ظاهر القرآن الكريم حجة وهذا ما التزم به أغلب المسلمين من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومن المدارس الإسلامية الأخرى، ولذلك فإنهم يجعلون ظواهر القرآن من الأدلة على الحكم الشرعي.

نعم بعض أتباع أهل البيت عليهم السلام من أخوتنا في المدرسة

(١) سورة القمر: آية ٢٢
(٢) سورة المائدة: آية ٦

الإخبارية وهي مدرسة رديفة للمدرسة الأصولية. وفيها علماء فحول كبار بل إن أصحاب المجاميع الحديثية الكبرى هم محسوبون على هذه المدرسة.. هؤلاء قالوا نحن لا نستطيع أن نفهم القرآن الكريم، وإنما يفهمه من نزل عليهم وهم محمد وآل محمد صلى الله عليهم أجمعين، فإذن لا بد ونحن نريد فهم القرآن الكريم أن ننظر إلى أخبار وروايات أهل البيت عليهم السلام، وهذا الكلام حسب رأي علمائنا جزء منه صحيح وجزء منه غير صحيح.

الجزء الصحيح منه أنه لا شك ولا ريب أن العلم بكل القرآن والإحاطة بكل ما فيه هذا محصور في محمد وأهل بيته فلا يستطيع أحد من المسلمين كائناً من كان، علماً وفهماً، أن يقول أنا أحيط بعلوم القرآن الكريم ولو ادعى ذلك يمتحن ويسقط في الامتحان إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين، الذين ورثوا هذا العلم من جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا المقدار من الكلام صحيح وهو أن الإحاطة بعلم القرآن من أوله إلى آخره منحصر في أهل البيت، باقي العلماء يعلمون شيئا كثيراً من القرآن الكريم ولكن لا يحيطون بعلم القرآن كله.

والقسم الآخر الصحيح أيضاً أن أعماق القرآن الكريم وكل بطونه المختلفة إنما يعرفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومون عليهم السلام، أما سائر الناس بمن فيهم من العلماء المتبحرين ليسوا بهذا المقدار، هذا المقدار الصحيح من كلام إخواننا علماء المدرسة الاخبارية من الإمامية.

وأما القسم الآخر غير الصحيح فإننا نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة منه آيات محكمات هن أم الكتاب وهذه الآيات المحكمات ميسرة للناس على اختلاف منازلهم ودرجاتهم وقد أُمروا أن يتدبروا فيها ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[2]، هذا المقدار من الحث والتشجيع والدعوة إلى الانفتاح على القرآن يعني أن بإمكان الناس على اختلاف درجاتهم العلمية أن يتناولوا من القرآن الكريم بحسب مستوياتهم، فالفقيه يقدر على مائدة القرآن ما يشبع نهمه، وكذلك يستفيد الإنسان العامي عندما تقول له ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[3]، هذه واضحة بالنسبة له يفهم عندما تقول له ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾[4]، وأمثال ذلك.

فإذا تقصد الإحاطة بالقرآن الكريم من أوله إلى أخره وبأعماقه فهذا من اختصاص أهل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم سيدهم وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان المقصود أننا لا نفهم شيئاً من القرآن الكريم فهذا يخالفه الوجدان.

بل نجد مفسرين من مختلف المدارس الفقهية، يفسرون القرآن الكريم وفي كثير من الآيات يكون تفسيرهم صائبا، وذلك ان من

(١) سورة محمد: آية ٢٤
(٢) سورة القمر: آية ٢٢
(٣) سورة النحل: آية ٩٠
(٤) سورة الإسراء: آية ٣٢

يعرف اللغة العربية عندما يقرأ القرآن لا يقرأ ألغازاً وإنما يقرأ آيات يعرف معانيها بحسب تعقله وقدرته الذهنية، فإذن ظواهر القرآن الكريم بهذا المعنى حجة لذلك.

قالت سيدتنا الزهراء عليها السلام بعد ما وصفت القرآن الكريم كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ تقول بينة بصائره متجلية ظواهره، هذه الظواهر والبصائر واضحة للناس يستطيع الإنسان أن يصل إليها.

◄ بلاغة الزهراء عليها السلام في طريقة الاقتباس من القرآن الكريم:

قسم آخر من أحاديث السيدة الزهراء عليها السلام حول القرآن في هذه الخطبة ما يرتبط بالاقتباس القرآني وهذا من آيات البلاغة العجيبة في لسان هذه المرأة الجليلة صلوات الله وسلامه عليها، الاقتباس في اللغة العربية من فنون الشعر والنثر وآيات البلاغة، أن يكون الخطيب أو الشاعر قادراً على اقتباس كلام لغيره وتضمينه في كلام هذا يسمى اقتباساً.

والكلمة جاءت من القبس في قضية نبينا موسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام قال ﴿**لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾[1]، عندما خرج مع زوجته بعد أن وفى لنبي الله شعيب بما اتفقا عليه من الأجرة ﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ**

(١) سورة طه: آية ١٠

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾[1]، نبي الله موسى عليه السلام مع أن الاتفاق كان على ثمان سنوات من العمل لكن أتمها عشر سنوات.

وإذا كان لنا أن نأخذ من درس تربوي من هذه الآية، فإننا نقول بأن المطلوب من الإنسان أن يتم للطرف الأخر ما توافقا عليه، على خلاف ما قد يوجد عند البعض، حيث يكون لديه سائق يعمل عنده بألف ريال مثلا، فيحاسبه حين الراتب على النقير والقطمير. لأنك فعلت كذا ينقص من راتبك كذا، ولأنك تركت كذا يخصم عليك كذا. غير أن نبي الله موسى يجعل تماماً ووفاءً فوق الاتفاق عشرين في المائة تقريباً أصل الاتفاق ثمان سنوات عمل مقابل أن أتزوج ابنتك هذا هو الوفاء، ويعلمنا القرآن من خلال ذلك أنه عندما تريد أن تعطي فأوف الكيل، ولا تكن من المطففين ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[2].

نبي الله موسى خرج في ليلة برد شاتية ومعه زوجته وأغنامه فلاحت له نار من مكان بعيد في الصحراء قال ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾ فذهب موسى عليه السلام ليقتبس ناراً أي يأخذ قبساً، ومن هنا أُخذ هذا المصطلح في اللغة العربية. فحينما يتكلم إنسان ويستشهد بكلام شاعر أفضل منه، يقال اقتبس منه وهكذا متحدث يتحدث فيقتبس من كلام الله ﷻ

(١) سورة القصص: آية ٢٧

(٢) سورة المطففين: آية ٢-٣

أو من كلام رسول الله ﷺ ليقوي المطلب.

◄ ثلاثة عشر اقتباسا بديعاً للزهراء عليها السلام من القرآن الكريم:

قامت الزهراء عليها السلام بالاقتباس من آيات القرآن الكريم في عملٍ بلاغيٍ لا نظير له، لأن الاقتباس درجات؛ أعلاها ما إذا كان الكلام المأخوذ من القرآن الكريم يجري مع كلام المتكلم، بحيث أنك للوهلة الأولى تظنه من عبارة المتكلم.

نقول للوهلة الأولى وإلا فإن بلاغة القرآن، وإعجاز كلماته وتراكيبه لا يصل إليها كائن من البشر بمن فيهم الأنبياء والأوصياء، بل ما لديهم من بلاغة هو ظلال لذلك الأصل. وفرع من تلك الشجرة.

سوف نلاحظ أن مساحة الاقتباس التي مرت عليها سيدة النساء واسعة حيث تمددت اقتباساتها على اثنتي عشرة سورة، فقد اقتبست من آل عمران ومن فاطر والتوبة والمائدة والكهف وابراهيم والشعراء وسبأ وهود والهمزة، واختصت التوبة بأكثر من اقتباس ولا غرابة فإن سورة التوبة من اسمائها الفاضحة.

ونشير إلى أن هناك اختلافا بين الاقتباس من القرآن والاستدلال بآياته، فبالرغم من اجتماع هذين الأمرين في خطبة الزهراء عليها السلام إلا أن بينهما فرقا، فإن الاقتباس كما ذكرنا هو جانب بلاغي وأدبي يجعل المقتبِسُ النص المقتبَسَ وكأنه جزء من كلامه، ويوصله به حتى يغدو أشبه بالنسيج الواحد، كما ستأتي أمثلته. وأما الاستدلال فهو أن يأتي المتحدث بنص يستفيد منه في الاستدلال

ويتكئ عليه في إثبات مطلبه من غير التزام بأن يتسانخ في اللفظ مع لفظ المستدل. كاستدلال الزهراء بآيات الميراث بشكل عام أو في خصوص وراثة الانبياء.

بعد كل هذا لا بد أن نشير إلى أن كل ما سنأتي به وهو جزء بسيط من جهات البلاغة الفاطمية كان في ظرف معاكس لوضع السيدة الزهراء عليها السلام فإنها في ذلك الوقت لتوها قد فقدت أباها رسول الله ومن يبتلى بمصيبة بهذا النحو يتأثر عادة في تركيز كلامه وبديع نظامه، كما أنها تعيش أزمة الاعتداء على منصب وموقع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام وإبعاده عن الخلافة وقيادة الناس، وهي إلى ذلك تخطب في المسجد بين الرجال وإن كانت هناك ملاءة قد جعلت بينها وبينهم.

ولنعود إلى أصل الموضوع نقول: وُجد في خطبة الزهراء عليها السلام اثنا عشر اقتباسا من القرآن الكريم بعضه آية أو جزء من آية وربط بنحو تظنه كلاما واحدا.

ولعل هذا هو الذي خفي على البعض عندما زعم بعضهم بأن هناك خطأ في دعاء أبي حمزة الثمالي، وبالغ بعض المخالفين عندما قال إما أن يكون هذا الدعاء غير صحيح الانتساب للسجاد أو أنه لم يكن حافظا للقرآن! قالوا إن هناك آية في الدعاء ﴿**واسألوا الله من فضله إن الله كان [بكم رحيما]**﴾ ولا توجد آية في القرآن هكذا إنما الآية الموجودة ﴿**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ**

شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1] والجواب: أنهم لو كانوا يعرفون معنى الاقتباس في أساليب الخطاب باللغة العربية ما كان لهم أن يعترضوا بهذا الاعتراض!.

وتفصيل الجواب:

أن هاتين آيتان، ولشدة المناسبة بينهما ألصقهما في الدعاء، وفي الكتابة يتبين ذلك بوضوح عندما يقوم الكاتب بفتح قوس للآية الأولى ثم يغلقه ويفتح قوسا للآية الأخرى فهنا يتبين الأمر بوضوح لكن الأمر ليس كذلك عندما يكون الدعاء بصورة القراءة، فلا يمكن للداعي أن يقول مثلا: **﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ (نغلق القوس)** ثم يقول **(نفتح قوسا جديدا)** ويقرأ الآية الثانية! ولكن من يعرف قانون الاقتباس وشدة المناسبة بين الفقرتين يعرف لماذا ألصقهما الداعي أو المتحدث!.

الآية في سورة النساء **﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**[2]، وفي آية أخرى قبلها **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾**[3]، وذيل الآية الأولى **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** لا يتناسب مع

(١) سورة النساء: آية ٣٢
(٢) المصدر السابق.
(٣) النساء:٢٩

مسار الدعاء، الدعاء يحتاج إلى ماذا؟ يحتاج إلى فضل ورحمة لذلك جاء بذيل الآية السابقة على طريقة الاقتباس والالصاق، فاستفاد من الآية الأولى من مقطعها الأول ومن الآية الثانية من مقطعها الثاني وسيأتي أمثاله في خطبة الزهراء عليها السلام.

هاتان فقرتان من آيتين ولكن سياق الحديث جعلهما هكذا لا أن هذه آية واحدة، ولو أن الإمام زين العابدين عليه السلام جاء بالآية ﴿**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾، لا ينسجم مع حالة الاسترحام والاستعطاف في الدعاء الموجود.

◁ **الاقتباس الأول:**

«**وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة فـ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**»[1].

بعد هذه المقدمة القصيرة، فلنرَ الآن كيف اقتبست فاطمة الزهراء عليها السلام العديد من الآيات المباركات من ذلك فذكرت أول شيء«**وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة فاتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون**»، فإن مقتضى الاخلاص لله بالربوبية امران: أن تكون كيفية العمل بما يؤدى فيه حق الله تعالى، فالتقوى ينبغي أن تكون حق تقاته، والجهاد ينبغي أن يكون حق جهاده، وهكذا والآخر أن يستمر المؤمن على ذلك فلا يكفي أن يقوم بهذا

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢

الأمر لمرة واحدة أو في شهر واحد وإنما أن يستمر عليه حتى يضمن أن لا يأتيه الموت إلا وهو مسلم.

◁ **الاقتباس الثاني:**

«وأطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه ﴿إِنَّما يَخْشَى الله مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ﴾»[1].

ويعلم القارئ الكريم أنه تم تقديم لفظ الجلالة (الله) مع أن اللفظ في موضع المفعول به وهو مؤخر لاقتضاء الحصر والقصر ذلك، فلو قالت الآية المباركة إنما يخشى العلماءُ الله لما أفاد نفس المعنى المطلوب فيه القصر، فغاية ما تثبت هذه الجملة أن العلماء يخشون الله، لكن هل يخشاه غيرهم أو لا فإن الجملة هذه لا تتعرض له، ولا تؤدي نفس المعنى، مع أن المطلوب في الآية المباركة هو القول أن خشية الله فرع عن العلم به فمن لا يكون عالما بالله تعالى لا يخشاه ولا يخافه، وبمقدار ما يعلم به يخشى ويخاف ويتقي.

وفيما يرتبط بالخطبة فإن الصديقة الطاهرة فاطمة قد طوت مقدمة هي أنكم بتبليغ النبي الرسالة وجهاد الوصي في سبيلها قد أصبحتم عالمين بربكم عارفين بواجباته عليكم وبنواهيه لكم، فيقتضي هذا أن تستجيبوا بالعمل وأن تخشوه حق الخشية لأنه إنما يخشى اللهَ العلماءُ به والعارفون بعظمته والواعون بواجبهم تجاهه.

---

(١) سورة فاطر: آية ٢٨

◁ **الاقتباس الثالث:**

«اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ ﷺ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾»[1]

في تعريفها صلوات الله عليها لنفسها، وتوجيهها لفعلها وخطبتها ومحتوى تلك الخطبة، فهي تخبرهم أنها فاطمة بنت النبي، حتى يستذكر المهاجرون والأنصار أحاديث رسول الله ﷺ في حقها، والفرض أنهم لا يزالون يتذكرونها، وحتى لا يتوهم بعض الحاضرين آنئذ أنها لا ينبغي أن تخرج أو تخطب، بل حتى لا يتخرص بعض أتباع مدرسة الخلفاء في المستقبل في تخطئتها وهي التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها فقد استبقت كل هذا وقالت: إنها تقول ذلك عودا وبدءا، وأن ما تقوم به من الاحتجاج عليهم ليس عملا خاطئا وأن كلامها ليس غلطا.

في هذه الحالة أكملت كلامها بآية مباركة وقد جاءت شديدة المناسبة حتى يتصور السامع لأول مرة أنها جزء من الكلام **﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾**.

(١) سورة التوبة: آية ١٢٨

◁ **الاقتباس الرابع:**

«وَأَنْتُمْ تزْعُمُونَ أن لاّ ارْثَ لَنا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾»[1]

تذكّر عليها السلام الحاضرين بأن هناك منهجين: جاهليا يمنع على المرأة أن ترث من أبيها لمبررات خاطئة وكانوا يسيرون عليه قبل أن يأتي الإسلام فيقول قرآنه **﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمّا قَلّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾**[2] والمنهج الآخر هو ما جاء به القرآن، والقضية ليست قضية اسماء وشعارات وإنما هو التزام ببرامج فمن يلتزم بالمنهج الأول في حياته فهو جاهلي وإن قال بسم الله، والله أكبر!

وهذا هو ما أشارت إليه الصديقة بأنكم **«تزْعُمُونَ أن لاّ ارْثَ لَنا»** ومن يعتقد هكذا ويطبقه عمليا فهو صاحب منهج جاهلي، بعدما رغب عن المنهج الالهي وابتغى المنهج الجاهلي. وقد استعانت في فكرتها تلك بالآية القرآنية **﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**.

◁ **الاقتباس الخامس:**

«ابتداراً زعمتُم خوفَ الفِتنَة، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ

(١) سورة المائدة: آية ٥٠
(٢) النساء:٧

﴿لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾»[1].

في هذا الموضع تقول «**ابتداراً زعمتُم خوفَ الفِتنَة**» يعني بادرتم وذهبتم سراعا خلف السقيفة والبيعة، فلم تراعوا وصية النبي ولا حتى انتظار دفن جنازته، بحجة ألّا تكون هناك فتنة! لكن الحقيقة هي أنكم سقطتم في الفتنة، وما خفتم من وقوع الناس فيها نظريا واحتمالا وقعتم فيه وسقطتم في مستنقعه عمليا وواقعا! وبينما شخصت الواقع الخارجي من أنهم وهي تخاطب أهل السلطة الحاضرين بقولها «**ابتداراً زعمتُم خوفَ الفِتنَة**» لكن الواقع هو ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وهذا القسم آية قرآنية من سورة التوبة ولكن الناظر إليها يرى لشدة المناسبة والسلاسة في الانتقال كأن الجميع جملة واحدة.

◁ **الاقتباس السادس والسابع:**

«**وكتاب الله بين أظهركم أموره ظاهرةٌ، وأحكامهُ زاهرةٌ، وأعلامه باهرةٌ، وزواجرُهُ لائحةٌ، وأوامره واضحة، وقد خلفتُموه وراء ظهوركم، أرغبةً عنه تُريدون؟ أم بغيره تحكُمُون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[2] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**»[3].

---

(١) سورة التوبة: آية ٤٩

(٢) سورة الكهف: آية ٥٠

(٣) سورة آل عمران: آية ٨٥

وهنا الاقتباس في أعلى درجاته بحيث بعد أن مهدت بوصف القرآن بأوصاف عالية، قرعت أهل السلطة وأنصارهم بأنهم قد خلفوه وراء ظهورهم ولم يعملوا به لا في اتباع وصية رسول الله بتأمير علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أمر القرآن باتباعها بقوله ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[1] ولا في توريث فاطمة من أبيها وقد صرح القرآن به. ثم تخاطبهم حيث كانوا بهذا ظالمين لأنفسهم ولغيرهم، «**أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون**»؟ وهنا تقتبس من القرآن شعلة ضياء من موردين وسورتين، فتأتي بآية من سورة الكهف ﴿**بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾ وتردفها مباشرة بأخرى من سورة آل عمران ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ**

(١) الحشر: ٧/ وقد يقول بعضهم بأن الآية واردة في سياق الحديث عن الغنائم والفيء والعطايا وأن ما يعطيهم الرسول فليأخذوه وما ينهاهم عنه فلينتهوا، وفي الرد على هذا يقال أن المورد لا يخصص الوارد كما اتفق عليه العلماء وإلا لكانت أكثر الآيات الواردة في موارد محددة ومعينة لا ينبغي العمل بها في غير تلك الموارد، وهذا يعني تجميد أحكام القرآن في عصرها الذي نزلت فيه فلا يكون شريعة مستمرة ليوم القيامة. هذا بالإضافة إلى أن قياس الأولوية حاكم هنا فإذا كان الأمر بالنسبة للقضايا المالية وهي لا تساوي شيئا عند الخالق ولا عند الرسول، وكان يجب الأخذ بها والانتهاء عما نهى عنها فمن باب أولى أن يكون الأمر كذلك في أمور الدين والعقيدة والطريق إلى الأخرة. ولا يمكن أن نتصور أن الأمر جزمي وثابت في أخذ خمسة دراهم والانتهاء عن مثلها في الأمر والنهي لكنه في أحكام الصلاة يكون الأمر غير واجب أو في ترك التصدي للقيادة والإمامة من غير استحقاق يكون النهي هنا غير لازم.

مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وهنا نعيد إلى الأذهان ما ذكرناه في ذيل الاقتباس الأول من أن بعضهم لما لم يطلع على هذا الفن البلاغي نسب إلى الدعاء أن فيه آية غير صحيحة، فلا ينبغي أن يتصدى أحد هنا ليقول إن الآية الثانية ليست تكملة للأولى وأنهما في سورتين مختلفتين!

◁ **الاقتباس الثامن:**

في قولها عليها السلام «**فأنى حِرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**»[1].

إنها عليها السلام بعد أن خاطبت الأنصار بالقول: إيها بني قيلة.. وذكرت جهادهم في سبيل الدين وتضحيتهم في نصرة رسول الله ودعوته ومعاضدتهم لبني هاشم في رفع راية الدين، تتساءل مستنكرة ما الذي حدث بكم؟ ولماذا نكصتم بعد إقدامكم السابق، وتحيرتم بعدما اتضحت لكم الرؤية، وأن هناك خطين في الأمة، وكان ينبغي عليكم مواجهة التيار القرشي الذي كان على خط العداء معكم ومع رسول الله وهاهم الآن يبعدون وصيه ويحرمون ابنته! هل تخشون منهم؟ والحال أنكم هزمتموهم في ما سبق من

(١) سورة التوبة: آية ١٣

المعارك في تأسيس الدين؟ وأيضا فإن الله هو الأحق بالخشية لا هؤلاء!

◁ **الاقتباس التاسع:**

ولا تزال الزهراء عليها السلام في صدد تقريع وتوبيخ الفئة الأكبر وهي الأنصار فتصفهم بأنهم قد أخلدوا إلى الراحة وتراجعوا عن العزيمة والنصرة فكأنهم قد أخرجوا ما ابتلعوه وتقيأوا ما تسوغوه لكن هذا لا يؤثر في المؤمنين بقضيتهم لأن الله معهم والله غني عمن يخذل دينه فها هي تقول: «**ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، فـ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**»[1].

◁ **الاقتباس العاشر إلى الثالث عشر:**

وحيث وصلت إلى نهاية خطبتها أخبرتهم بما صدقته الوقائع من أنها لا تتوقع منهم شيئا ذا بال ولكنها تقدمة الحجة حتى لا يتعلل أحد بأنه لم يعلم بالقضية أو لم يحط بها خُبرا، وهي إلى ذلك فيضة النفس ونفثة الغيظ لا لأجل موضوع مادي وشخصي وإنما للغضب مما وصلت إليه حال المسلمين بعد كل تلك الجهود التي بذلت! «**ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور**

(١) ابراهيم: ٨

القنا، وبثة الصدور، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله، وشنار الأبد، موصولة بـ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[١]، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٢] وأنا ابنة ﴿نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٣]، فاعملوا ﴿إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾».[٤]

(١) الهمزة: ٧
(٢) الشعراء: ٢٢٧
(٣) سبأ:٤٦
(٤) هود: ١٢١- ١٢٢

التوحيد في خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام

حين ابتدأت بالحديث عن التوحيد قالت:

«الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عَدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلايِقِ بِإِجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أَمْثالِها، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأبْصارِ رُؤْيتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإِظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ». صدقت مولاتنا فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها.

◄ الابتداء بالحمد ميزة الخطاب الإسلامي:

تبدأ السيدة الصديقة عليها السلام أولاً بالحمد لله، الحمد لله على ما أنعم.. هذا الابتداء في الخطاب هو أسلوب إسلامي متميز لم يُعهد هذا الأسلوب في الديانات الأخرى السابقة أو في الخطابات بهذا التركيز والكثافة، لكن في الحالة الإسلامية نحن نجد الابتداء بالحمد لله حاضراً في القرآن الكريم فهنالك عدة سور تبتدئ بالحمد لله أولها وأهمها سورة الفاتحة ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ بدء الفاتحة التي هي أم الكتاب وخلاصة القرآن كما يقول المفسرون بدؤها ومطلعها بالحمد، فكان بداية الكتاب الكريم بداية القرآن العظيم هي بداية حمدية لماذا هذا التعبير والاستخدام بالحمد؟ وماذا يعني؟.

نجد أيضاً في الأدعية حضور البداية بالحمد لله عز وجل حضور كبير، راجعوا الصحيفة السجادية وغيرها من الكتب المخصصة للأدعية سوف تجدون الأدعية التي تبدأ بالحمد أدعية كثيرة منها دعاء عظيم للإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة بلغنا الله وإياكم موقف عرفات وحج بيت الله الحرام، يبدأ بـ «**الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ولا لعطائه مانع**» وهكذا، حينما يخطب أمير المؤمنين عليه السلام نجد الحمد أيضاً حاضراً في خطبه «**الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادّون**».

فالبداية الحمدية التي هي أسلوب إسلامي متميز نجدها في أعظم النصوص وهو القرآن الكريم وهو خطاب الله للإنسان، كما

نجدها في الأدعية التي هي خطاب الإنسان لله تعالى، أيضاً جملة وافرة من الأدعية تبدأ بالحمد وخطب المعصومين عليهم السلام كما ذكرنا، بل وغيرهم ممن تأثر بمنهجهم يبدؤون بالحمد، فالسيدة فاطمة تستخدم هذا الأسلوب «**الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم - من ماذا؟ - من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء اسداها وتمام منن والاها**».

عموم النعم قد تكون ناظرة إلى عموم المنعم عليهم، وهذا من فضل الله عز وجل إذ لم يجعل نعمته محصورة في طائعيه وعابديه، وإنما فضل الله كان اوسع من ذلك وعطاؤه أعظم، فجعل نعمته عامة لكل من خلق حتى ذلك العاصي بل الملحد، وقد تكون ناظرة إلى نفس النعم، إنها نعم عامة لا تختص بجهة دون أخرى، ليست في جانب دون جانب.

وأيضاً «**سبوغ آلاء**» السبوغ هو الاتساع والانتشار يقال درع سابغة يعني درع واسع منتشر غير ضيق، كذلك آلاء الله سبحانه وتعالى آلاء منتشرة، يعني انا وأنت حياتنا قد تقوم بالماء وشيء من الرز والخبز وشيء من اللحم، لكن تعال وأنظر إلى نعم الله المختلفة، تجد في الطعام الفواكه التي خلقت بأشكال مختلفة وأطعمة متعددة وألوان كثيرة، مع أن الإنسان قد لا يحتاجها كلها حاجة أساسية بمعنى انه لو انقطعت عنه لا تقوم حياته، ولكن هذا من انتشار النعمة الإلهية وسبوغها في كل شيء فالحمد لله رب العالمين، ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾[1].

(١) النحل: ١٨

«**وتمام منن والاها**» نعمة الله حين تأتي إليك تأتي تامة فهي في منتهى الكمال ولا يوجد من ورائها غاية، الخلقة التي انت عليها أيها الإنسان هي في ﴿**فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ جمالا وكمالا واداء، ولو اجتمع البشر لكي يشكلوا آلة تخدم الإنسان بغير هذا الشكل فيها يجتمع جمال الشكل وكمال الاداء والتكامل مع سائر الأجهزة، لا يستطيعون أبداً، مع أن الله تعالى قادر أن يجعله يؤدي الغرض لكن من غير جمال أو تناسق كأن يجعل أنفا للتنفس لكن ليس بالضرورة أن يكون جميلا رائعا يتغنى به، أو يخلق وسيلة إبصار لكن لا بهذا النحو الجميل والكامل.. إلا أن الله سبحانه جعل نعمه تامة بحيث لا يستطاع القول بأن يا ليت كان هكذا أو على ذلك النحو المختلف! ولك للمقارنة أنك حين تذهب إلى منزل في غاية الجمال، يبقى في ذهنك اقتراح أن لو كان هكذا أو بذلك الشكل أو.. لكان أفضل. لكن في نعم الله سبحانه وتعالى جعل هذا الأنف نقطة جمال وكمال في نفس الوقت، فالنعم هنا تامة لا يوجد من ورائها قول يا ليت كان بهذا الشكل، فمثلاً أنت حينما تذهب إلى بيت وتقول هذا البيت جميل لكن لو كان الترتيب بهذا الشكل لكان أجمل، لكن بالنسبة إلى نعم الله ﷻ لا يوجد لمثل هذا الكلام أبداً.

لم أكن أريد أن اطيل في المقدمة لتعداد السيدة الزهراء عليها السلام لهذه النعم بأشكالها المختلفة وبتعبيرات متعددة كل تعبير يفيد معنى غير التعبير السابق وتحمّل الإنسان مسؤولية هذه النعم ثم تأتي في قضية معرفة الله ﷻ.

لاحظ أن السيدة الزهراء جاءت تناظر في موضوع الخلافة والإمامة ابتداءً من التعريف بالله ﷻ ثم التعريف بالنبي ﷺ، ثم التعريف بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام ونشأة التشيع ثم تأتي إلى البحث الخاص في الإمامة والميراث

◄ **التعريف بالله تعالى: أشهد أن لا إله إلا الله:**

«**أشهد أن لا إله إلا الله؛ كلمة**» تقرأ كلمة بنحوين؛ بالضم؛ وبالفتح «**جعل الإخلاص تأويلها وضمّن القلوب موصولها وأنار في التفكر معقولها**» أشهد أن لا إله الله: لها جهتان؛ جهة ظاهرية هي هذه الكلمة التي إذا قالها الإنسان وأتبعها بالشهادة لنبينا محمد ﷺ يترتب على هذه الكلمة مجموعة من الآثار، منها أن هذا الإنسان يكون مسلماً ويكون ماله حراماً محترماً وعرضه كذلك، وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولكن هناك جانبا أعمق لها، فهذا يحتاج إلى التأويل والغوص في هذه الكلمة وينتهي إلى تخليصها من الشوائب من شوائب المعرفة الخاطئة لله ﷻ، إذا أردت أن تعرف الله معرفة عميقة تحتاج إلى أن تجرد هذه المعرفة من الشوائب، كيف يعرف اليهود ربهم بشكل، ويعرف بعض المسلمين ربهم بشكل آخر؟ كما سيأتي؟ وكيف يَعرف ويُعرّف أهل البيت عليهم السلام ربهم؟ فلا بد أن تكون هذه المعرفة خالصة من الشوائب والمعارف غير الصحيحة.

إن اخلاص العبادة لله هي فرع الاعتقاد بألا إله إلاّ الله، والاعتقاد بأنه لا مؤثر حقيقة في الكون إلا هو سبحانه وبأنه لا حول ولا قوة إلا به. وهذا الاعتقاد إذا كان عميقا وحقيقيا فإن

المعتقد به سوف لا يؤمن بأن قدره ورزقه بيد فلان فيتوسل إليه وبه ما لا يصنع مع خالقه، ويركض وراءه طيلة حياته ما لا يمارسه مع ربه! مع فقدان الاخلاص وإفراد الله بالعبودية والتوجه لا ينفع كثيرا أن يكرر الشخص قول أشهد أن لا إله إلى الله.. نعم يترتب على مثل هذا القول بعض الآثار الظاهرية التي ذكرناها من تعنون الشخص بعنوان الإسلام، ولكن آثارها الحقيقية لا تحصل إلا بممارستها بصدق والايمان بها بعمق. جعل الإخلاص أولياً لها وعمقاً فيها، و«**ضمن القلوب موصولها**»، بالرغم من أن المعرفة الكاملة والشاملة بالله سبحانه متعسرة على الإنسان، أنّ المعرفة الفطرية بالله موجودة في داخل قلب كل إنسان، قد ضمّن الله سبحانه وتعالى هذه المعرفة قلوب الناس وفطرتهم. وبهذا المقدار يمكن الاحتجاج عليهم فلا يستطيع إنسان أن يقول إن إدراك ومعرفة الله حق المعرفة لا تستطاع فإذن لا يلزم الايمان به لعدم استطاعة ذلك.. كلا بل يقال المعرفة الفطرية والإيمان القلبي موجود في أعماق الإنسان وهو كافٍ.

نعم زود الله سبحانه الإنسان بما يستطيع معه أن يصل إلى حقائق في معرفة الله سبحانه بالتفكر وإعمال العقل «**أنار في التفكر معقولها**» لذلك إذا أراد أحد ان يعرف ربه ينبغي ان يعمل عقله بمقاييسه.

«**الممتنع من الابصار رؤيته ومن الألسن صفته ومن الأوهام كيفيته**» هي مراحل ثلاث تتحدث عنها الزهراء عليها السلام:

١) أنّ ربنا سبحانه وتعالى يمتنع على بصر كل ذي بصر أن يراه

في الدنيا وفي الآخرة إذ لا تدركه الابصار.

٢) أنه يمتنع أن يحيط به وصف الواصفين.

٣) أنه يمتنع على التصور والتخيل.

لماذا كان هذا الامتناع؟ لأننا لو طبقنا ما دعت الزهراء إليه من «**التفكر في معقولها**» سيقول التفكر لنا إن هناك شروطا يفرضها العقل لرؤية أي شيء بالبصر: من تلك الشروط أن يكون في جهتك وانت في جهته، فلو فرضنا أنك أردت أن ترى الجدار الذي يكون في خلفك فإنك لا تستطيع وهذا واضح فأنت لا تبصره إذ ليس هو في جهتك.

وهذا لا يمكن تحققه بالنسبة لرؤية الله بالبصر، وذلك لأنه الشيء الذي يراد النظر إليه وإبصاره لا بد أن يكون في جهة، والله لا يكون في جهة دون أخرى! بل يلزم من ذلك أن يتحيز الله ويتحدد **(سبحانه وتعالى عن ذلك)**.

◄ استحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة:

فيما ذهبت بعض الفرق الإسلامية إلى أن الله سبحانه يراه المؤمنون في يوم القيامة عيانا[1]! ويرونه في هذه الدنيا في المنام تؤكد الإمامية استحالة ذلك في الدنيا والآخرة، حقيقة أو في عالم الرؤيا، وتتمسك بما جاء في القرآن ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**

(١) قد نقلنا فيما سبق بعض الروايات التي يستندون عليها في ذلك.

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1] وقوله تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾**[2] وقد تكاثرت الاحاديث عن المعصومين في امتناع هذا الأمر، سواء كان على الانبياء العظام أو غيرهم!

كذلك فإنه يمتنع وصف الخالق بحق صفته، وتمامها مهما أوتي من البلاغة والفصاحة، وجهة ذلك واضحة؛ فإن الوصف التام هو نوع إحاطة والاحاطة به تستلزم المحدودية، والله سبحانه غير محدود ولعله إلى مثل هذا تكون إشارة أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «**ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود**» وكذلك يمتنع على الإنسان صفته لجهة أخرى وهي انه لكي تصف شيئا فلا بد من رؤيته او على الاقل تصوره «**والاحاطة به ذهنيا**» فلو أردت أن تصف نخلة فإما أن تراها ثم تأتي باوصافها أو على الأقل يكون لديك تصور عنها وانها مما ذا تتركب فتصفها بناء على هذا التصور الذهني الموجود لديك عنها.

---

(١) الأنعام:١٠٣

(٢) الأعراف: ١٤٣ وهذا الطلب لم يكن من نبي الله موسى وإنما كان بتعلل اليهود المكذبين له، وأنه إن كان صادقا في أنه يوحى إليه فـ ﴿**أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً**﴾ وبحسب ما ورد في الروايات فإن نبي الله موسى استكثر هذا الطلب وعده جرأة وتجاوزا، فأوحى إليه ربه أن يسأله ما طلبوا فلن يحاسبه بسؤالهم، وذلك لكي يثبت هذا المعنى (**لن تراني**) ويردفه بحادثة الصاعقة حتى يبقى وقعها في الأذهان وأن ذلك من الأمور الممتنعة والمستحيلة.

فإذا كانت رؤية البشر لله ممتنعة على ابصارهم.. فكيف يتم وصفه؟! وهكذا إذا لم يمكن (**تصور**) الله فكيف يمكن وصفه؟ وذلك أن ما يتصوره الإنسان ومنه ما يزعم بعضهم أنه رأى ربه في المنام لا يرتبط بالله تعالى، فهذه الصورة مخلوقة للإنسان بينما الله هو الخالق.

وهذا ما تشير له الفقرة الثالثة من كلامها عليها السلام «**الممتنع من الأوهام كيفيته**». وقد يؤيد هذا الكلام ما نقله في البحار عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله «**كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم.. ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله تعالى زبانيتين فان ذلك كمالها ويتوهم أن عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما**».[1]

وبهذه الكلمات فالزهراء عليها السلام تنفي إمكانية الرؤية العيانية لله تعالى في الدنيا أو الآخرة، يقظة أو مناما، بل تنفي كل نوع من أنواع الاحاطة اللفظية بالتوصيف أو الوهمية بتشكيل الصور.

وبالتالي فإن ما جاء في كتب بعض المسلمين من أن الله يُرى يوم القيامة وأنه يكشف عن ساقه! ليتعرف عليه المؤمنون، ولا أعلم لماذا الساق فهل رأيت أحدا يُعرف من ساقه؟ وأنهم عندما

(١) المجلسي، بحار الأنوار٦٦/ ٢٩٥/ ولم أجده في مصدر من المصادر الحديثية الأساسية.

ينكرونه يكشف عنها فيخرون سجدا.. إلى آخر ما قيل[1]، لا يمكن قبوله مع تصريح سيدة النساء بخلافه، والملفت للنظر أن أحدا من الحاضرين الذين خطبت فيهم وهم جمهور المهاجرين والأنصار لم يعترض عليها في ذلك!.

وهذا النمط من الحديث والفكر هو أحد الأدلة التي تثبت صحة انتساب هذه الخطبة للسيدة فاطمة وإلا فمن يستطيع أن يتكلم بهذا النحو من الدقة والعمق؟.

◄ ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها وصورها بلا احتذاء أمثلة إمتثلها:

ثم تقول ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها، وقد ورد هذا

(١) الألباني، ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ٢/ ١٢٦: أنهم سألوا رسول الله ﷺ: هل نرى ربنا ﷻ يوم القيامة؟ قال: «**هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم لا تضامون في رؤية أحدهما. فإذا كان يوم القيامة نودي ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد شيئا إلا تبعه، حتى لا يبقى إلا المؤمنون، فيأتيهم الله ﷻ**» فيقول: «**أنا ربكم**» فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا. فيقول: «**هل بينكم وبينه آية؟**» فيقولون: نعم. «**يكشف عن ساق**»، فلا يبقى أحد ممن كان يعبد الله ﷻ إلا خر له ساجدا». أقول: فيه ما سبق ذكره من استحالة الرؤية وأنه ماذا يعني أن تكون علامة الله التي يعرفها عباده هي ساقه؟ فمتى رأوها في السابق حتى إذا رأوها في القيامة يميزونها؟ وكيف يأتيهم الله؟ هل يكون في مكان فيخلو منه سائر الأمكنة؟

التعبير في كلام أمير المؤمنين[1] والإمام الرضا عليهما السلام، فلم يكن هناك شيء يحتاجه ربنا ليخلق منه الأشياء وإلا لكان ذلك الشيء قديما مع الخالق!، لاحظوا أيها الأحبة أن صنع الإنسان رهين ثلاثة أمور:

الأول: الغاية والسبب.
الثاني: المادة.
الثالث: المثال.

فلنفترض أنك تريد أن تبني بيتاً **فالأمر الأول**: تحتاج إلى سبب، لماذا تريد أن تبني هذا البيت؟ تريده لتسكن فيه، **الأمر الثاني**: المادة وهي المواد اللازمة للبناء، الأمر الثالث: الحاجة للمثال أو نموذج للبناء.

الله سبحانه وتعالى حين ابتدع الخلق لم يحتج لهذه الأمور لابتداء الخلق فهو لا ينتظر فائدة من الخلق ولا يحتاج إلى مادة يخلق بها الخلق ولا يحتاج إلى مثال، هذا ما تعنيه الزهراء عليها السلام بهذه الأسطر ابتدع الاشياء، ابتدع: أنشأ من غير سابقة، ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها فلا يحتاج الله إلى شيء ليخلق شيئا آخر، إذ الاحتياج نقص وعجز ينزه عنه الله تعالى.

ولا كان يحتاج إلى هذا الخلق في خلقه إياهم، وإنما كان السبب في ذلك: المنة على الخلائق بخلقهم والتحنن عليهم بالإنعام، وظهور حكمته في تمام نعمته عليهم.

---

(١) الصدوق ابن بابويه، التوحيد، ص ٤١: الحمد للّه الواحد الأحد الصّمد المتفرد الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان.

النبي محمد كما تصفه الزهراء عليها السلام في الخطبة الفدكية

من خطبة مولاتنا فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أنها قالت:

«وَأَشْهَدُ أنّ مُحَمَّداً عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجتباه، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بمسائل الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِير حَتْمِهِ، فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأوْثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بأبي مُحَمَّدٍ ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ».

◄ متى تم الاصطفاء الإلهي لرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟

هذه الفقرة من خطبة لفاطمة الزهراء عليها السلام هي احدى

فقرتين طويلتين نسبياً، تحدثت فيهما الصديقة الطاهرة عن ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي الفقرة الثانية بينت ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما جاء برسالة ربه، ففي الفقرة الأولى تحدثت عن امر مهم وهو قضية الاصطفاء والاختيار الإلهي للنبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فيلفت النظر هذه التعابير التي استعملتها سيدة النساء عندما قالت: «**اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أَنِ اجتباه، وَاصْطَفاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ**».

اختيار الله سبحانه وتعالى لنبيه كان حيث لا زمان ولا مكان ولا أنس ولا جان ولا نار ولا جنة، فلم يكن عندما اختار الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أي شيء، فأول شيء كان في الخلائق وجوداً كان نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

◄ أقسام العالم: عالم الواقع وعالم التقدير

◁ عالم الواقع:

الإمامية يعتقدون بأن هناك عالمين، هذا العالم الذي نعيشه هو ما يسمى عالم العين، عالم الأعيان الخارجية الموجودة، عالم الواقع، عالم الدنيا، سمه ما شئت، هذا العالم الذي نعيش فيه منذ أن بدأ الله بخلق أول آدم وحيث يوجد عندنا روايات بأن قبل آدمكم هذا، الف آدم وقبل عالمكم هذا الف عالم[1]، وهو عالم الموجودات الخارجية.

---

(١) تم التعرض لهذا الموضوع بنحو مفصل في كتابنا (**من قصة الديانات والرسل**) فليراجع.

◁ **عالم التقدير:**

يقول العلماء قبل عالم الواقع هذا كان هناك عالم آخر هو عالم التقدير، عالم الامر، عالم الغيب لم يكن هناك شيء موجود لا الزمان ولا المكان موجود، لأن الزمان هو حادث ونسبة المكان أيضا كذلك فلا شيء موجود على الاطلاق لنقرب المعنى بالمثال التالي:

عندما تُكلَّف باستحداث مدرسة متكاملة من حيث البناء والتجهيزات اللازمة من فصول وإدارة ومرافق عامة كفناء ومصلى ودورات مياه وغيره وكذلك تهيئتها من ناحية الموارد البشرية كادر إداري ومعلمين وليكن في ذهنك الآن أن هذه المدرسة غير موجودة فعليك أن تضع خطة لبنائها وكذلك تضع في ذهنك خريطة لإدارتها.. أنت الآن في مرحلة تخطيط حيث لا مدرسة ولا مدير موجود بالفعل تحت يدك، فهذا يختلف عما لو انت خططت لهذه المدرسة وهي موجودة أمامك والمدراء كذلك أمامك تنتخب واحدا منهم.

اصطفاء رسول الله ﷺ كان في عالم التقدير:

فلو قرّبنا هذا الكون كمثال لهذه المدرسة قبل استحداثها، كون لم يُخلق بعد فلا سماوات ولا أرض ولا بشر ولا جن ولا شيء على الاطلاق، ولا يوجد هناك احد في الخارج في ذلك العالم، الله سبحانه وتعالى – وهذا تعبير من باب ضيق الخناق في الألفاظ – عندما كان يخطط لهذا العالم ويضع المقادير له قبل خلق العالم

والكون وقبل خلق كل أحد كان قد اختار في ذلك الوقت سيد الأنبياء محمد ﷺ، وهذا أحد معاني ما روي عن رسول الله ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» يعني إلى الآن آدم غير مخلوق.

في عالم الغيب والتقدير قبل كل شيء انتخب الله سبحانه وتعالى نبينا للنبوة، وهذا ما تعبر عنه فيما نعتقد سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بقولها: اختاره وانتجبه قبل ان ارسله وليس عندما خلق كل الخلق اختاره، وليس كما هو موجود في بعض المناهج الدراسية في بعض بلاد المسلمين عندما بلغ الأربعين من العمر اختاره الله للنبوة ونزل عليه الوحي، فما معنى لما بلغ أربعين سنة؟! أبداً ليس كذلك، بل قبل هذه الأكوان كلها كان قد انتُخِب واصطفي واجتبي.

نعم هذا العالم الذي نعيش فيه هو عالم الزمن والتدرج يحتاج فيه أن يولد النبي وأن يكبر وهكذا لكن الاصطفاء والانتخاب والتسمية والاجتباء كانت في عالم سابق على هذا «**اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجتباه، واصْطَفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ**» إلى الآن الخلائق مستورة في عالم الغيب لا يوجد لها شهود ولا يوجد لها وجود خارجي «**وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ**» من وراء حجب لم تصبح شيئا خارجيا لم تتشخص في الخارج، «**وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ**» هي امور معدومة ما كانت موجودة اقترنت بالعدم، هناك حيث لا شيء موجود تم انتخاب رسول الله ﷺ كسيد للخلق ونبي للبشرية..لماذا؟ ما هي الغاية؟ «**عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ،**

وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُور»، الله سبحانه وتعالى علماً منه بنهايات القضايا وبمآلات الأمور، كان يعلم بأن هذا النبي هو المنتخب والمجتبى وأفضل نسخة للكون خلقها الله سبحانه وتعالى حتى يصبح خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

◄ الديانات المنتشرة في الجزيرة العربية والقريبة منها قبل بعثة النبي ﷺ

ثم تصف عليها السلام البيئة التي جاء فيها النبي ﷺ، «**ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأوْثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها**».

إن أقرب الديانات جغرافيا للجزيرة العربية هي المجوسية والمسيحية، هذه في شرق الجزيرة العربية، أي ايران وتلك في الشمال والغرب في بلاد الروم وما يتبعها وكذلك في جنوب الجزيرة العربية أي الحبشة وما يتبعها. وتعتبر الديانة المسيحية قريبة من الناحية الزمنية إلى بعثة النبي ﷺ إذ الفاصلة بين النبيين نحو ستمائة عام.

وكذلك كانت اليهودية موجودة في بعض أنحاء الجزيرة العربية، وفي بلاد الشام.

الغريب الذي تشير إليه الزهراء عليها السلام أن هذه الديانات **(السماوية)** كانت قد تفرقت وتشعبت وتعددت بحيث أصبح كل فرقة تكفر الأخرى مع أن منبعها واحد، فمن يراجع تاريخ هذه

الديانات يجد التفاصل بين أبناء الديانة الواحدة كبيرا فضلا عما بين الديانات المتعددة.

ففي المسيحية مثلا وهي لم تكن تبعد عن بعثة النبي إلا بستة قرون، اختلفوا في النظر إلى عيسى بن مريم هل هو إله؟ أو هو بشر نبي؟ أو هو جزء من الإله؟ وما موقع مريم العذراء بالنسبة إلى الإله المفترض؟ وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الفرق في آياته وحكم عليها بالانحراف عما جاء به عيسى بن مريم عليهما السلام [1].

أما الجهة الشرقية -جهة فارس- فالمجوس بعدما كانوا أصحاب رسالة سماوية حصل الانحراف عندهم عنها[2] صاروا يعبدون النار ويرون أنها سر الحياة وفيها القوة الاصلية، وبالتالي لابد أن تكون متقدة ومشتعلة باستمرار، وهذه النار المتقدة لمئات السنين انطفأت بقدرة الله عندما ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الجزيرة العربية، اتجه العرب إلى عبادة الأوثان والأصنام، وهم في ذلك منكرون لله ظاهراً مع اعتقادهم في داخل أنفسهم بالله ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[3]، فحينما تشتد بهم الخطوب يلجؤون إلى الله تعالى ولكنهم مع ذلك يجحدون.

---

(١) لمعرفة بعض الفرق وآرائها وتطور المسيحية وحياة المسيح يمكنكم مراجعة كتابنا: من قصة الديانات والرسل.

(٢) كذلك لمعرفة تاريخ الزرادشتية المجوسية وعقائدهم والموقف الإسلامي منها يراجع كتاب قصة الديانات والرسل.

(٣) سورة لقمان: آية ٢٥

تشير الزهراء عليها السلام إلى هذه الخريطة الدينية بقولها «**فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها**».

◄ **بزوغ فجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عالم الواقع:**

«**فَأَنارَ اللهُ تعالى بأبي مُحَمَّدٍ ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ**».

تعالوا نعقد مقارنة بين الصورة التي تقدمها الزهراء عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين الصورة التي تقدمها بعض كتب المسلمين الحديثية!.

١) قد سبق أن الزهراء ذكرت أن النبي هو محل اصطفاء ورعاية خاصة واجتباء واصطفاء وتسمية خاصة من الله عز وجل، حيث لم يكن هناك كون ولا كائنات بل كانت الخلائق في عالم الغيب مستورة مكنونة وبنهاية العدم مقرونة.

وهذه الرعاية والعناية لا بد أن تكون من البدايات، فإذا كان الله يتحدث عن النبي موسى وهو دون نبينا فضلا ومنزلة، ذاكرا بعض منته عليه ونعمه ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[1] فكيف سيكون حال نبينا الذي اختاره وانتجبه واصطفاه قبل أن يخلق الخلق وبينما

(١) سورة طه:٤١ .

كان آدم بين الماء والطين؟ كيف ستكون رعايته له وعنايته بنبيه؟ وحينئذ هل نصدق ما سيقوله بعض أتباع المدارس الأخرى من ان أبويه كانا مشركين! أو أنه والعياذ بالله كان على دين قومه قبل بعثته! وأنه كان يُهدى له الخمر وأنه كان يأكل ما ذبح على النُّصُب!

أين هذه الصورة من صورة النبي الحقيقية التي يفصل القول فيها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«**ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره**»[1]، للأسف فإن الصورة التي تقدمها بعض كتب المسلمين المعتمدة، عن النبي لا تتطابق مع حقيقته بل بعض ما فيها على خط التعاكس والتضاد من شخصيته. لكننا ننزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك ونعتقد فيه بقول الله جل جلاله ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]، فلا يمكن أن يطال طهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم درن ولا دنس ولا منقصة ولا خلق سيء ولوجاء بالخبر كلّ كتّاب التاريخ، فإننا نرد ذلك بما ثبت من صفاته العليا في القران الكريم والله هو أصدق القائلين. وكذلك بما ورد في أحاديث اهل البيت صلوات الله عليهم.

◄ معاناة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ الرسالة:

فبعد هذه الصورة المشرقة التي تقدمها سيدتنا فاطمة صلوات

(١) نهج البلاغة؛ تحقيق صبحي الصالح ص ٣٠٠
(٢) سورة القلم: آية ٤

الله وسلامه عليها للنبي ﷺ تُعرّج على معاناته في سبيل تبليغ الدين فتقول:«**فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، وحَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ مع نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ بأبي مُحَمَّدٍ ﷺ**».

أي لم يكن تبليغ الدين والرسالة بالسهولة التي يتصورها البعض بل مر ذلك بحقول ألغام وبحروب أعداء، ومعاناة، فقد كانت المعارك مع المشركين الذين رفضوا السماح لدعوته بالانتشار فاضطر إلى حربهم ضاربا بالسيف أعناقهم في تلك الحروب وداعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة كخط عام، ونتيجة هذا الجهاد في الميدانين: الحرب والوعي والتبليغ كان أن تفرى ليل الأصنام وظلام الجاهلية عن صبح الإسلام وشمس الحقائق، فأنقذ الله الأمة بالنبي محمد ﷺ.

وإذ عرجت على ذكر رحيل النبي المصطفى ذكّرت الحاضرين بطريق غير مباشر بمعادهم، وأن عليهم أن يعملوا لذلك اليوم الذين سيرحلون فيه، فهل يقبضهم الله كما أخذ رسوله قبض رأفة واختيار ورغبة وإيثار، ويكون الراحل حينها سائرا من تعب الدنيا

إلى راحة الآخرة مجاورا للملائكة محبُوًّا برضوان الله وجواره؟ أو يكون في الطرف الآخر لا سمح الله. والتذكير بالمعاد ضروري حتى لا تأخذ أهلَ السلطة شهوة الحكم والسيطرة فتعميهم عن مصائرهم.. قالت عليها السلام «**ثمَّ قَبَضَهُ اللهُ إليْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاختِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ فمحمدٌ صلى الله عليه وآله منْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأَبْرارِ، وَرِضْوانِ الرّبِّ الغَفارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيَّهِ وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**»

هذا المصير هو الذي يفسر لنا إقدام المعصومين عليهم السلام على الموت عالمين به مختارين إياه على ما فيه الخطر والهلكة الظاهرية والموت، لأنهم يعتقدون انهم يختارون الله بذلك ورضوانه.

فهذا ما تقدمه السيدة الزهراء عليها السلام عن رسول الله في بداية انتخابه واصطفاه ثم بعثه ودوره إلى أن قبضه الله اليه قبضة رأفة واختيار ورغبة وإيثار.

هذا النبي الذي عمل هذه الأعمال العظيمة حيث دعاهم إلى الدين القويم وهداهم إلى الصراط المستقيم.

أليس من الحري بهم أن يُقيّموا هذه الخدمة فيحفظوا رسول الله في ولده وعترته وذريته لا أن يجردوا عليهم سيف الظلم والاضطهاد ورسول الله لم يجف تراب قبره بعد!.

مقاصد التشريع الإسلامي في خطبة الزهراء عليها السلام

في خطبة سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ورد قولها: «**فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق والصيام تثبيتاً للإخلاص والحج تشييداً للدين والعدل تنسيقاً للقلوب وطاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة والجهاد عزاً للإسلام والصبر معونة على استيجاب الاجر والأمر بالمعروف مصلحة للعامة وبر الوالدين وقاية من السخط وصلة الارحام منماة للعدد والقصاص حقناً للدماء والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس**».

تبين الصديقة الزهراء أن الله سبحانه وتعالى شرع تشريعات، الهدف منها تكامل الإنسان العامل بها وتصاعده إلى الدرجات العالية في إنسانيته، فلو خلق الإنسان ثم أهمله عن التكليف لصار حاله حال سائر الحيوانات، يجري وراء شهواته واهوائه ويتسافل، وكذلك الحال لو شرع تشريعات من غير حكمة أو هدف. لكن الله سبحانه وتعالى جعل له سلما للصعود والتكامل، وذلك عبر

برنامج تشريعي من العبادات وأحكام المعاملات. ولم يأت هذا البرنامج التشريعي عبثاً، وإنما الأصل فيه أن كل تشريع سواء كان أمرا أو نهيا، يهدف للوصول منه إلى غرض من الاغراض الفردية أو الاجتماعية، وربما يستطيع الناظر والمتأمل في آيات القرآن الكريم أن يلحظ ذلك في الأوامر الالهية أنها في العادة تنتهي بقوله تعالى (**لعلكم..**) وفي هذه العبارة إشارة إلى حكمة وهدف التشريع الذي سبق هذه الكلمة، وأحيانا تأتي جملة هي كالتعليل والاشارة إلى فلسفة التشريع المأمور به قبلها[1].

ضمن هذا الإطار ينبغي أن نتأمل في كلمات الزهراء عليها السلام والتي تحدثت فيها عن بعض فلسفة التشريعات الإسلامية، قالت: فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر.

---

(١) ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٩/ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة:١٨٣ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة:١٨٦ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٨٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٣٠ ومن النمط الثاني في التعبير عن فلسفة الأحكام والتشريعات قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت: ٤٥

◄ هل التعبير بالايمان هو الصحيح أو العقيدة؟

يقول بعض الباحثين إننا نلاحظ أن أتباع المدرسة السلفية دائماً ما يركزون على العقيدة، وتصفية العقيدة وأركان العقيدة الصحيحة وما شابه ذلك، وهذا – كما يقول مخالف – حتى لمنهجهم فضلا عن مخالفته للاتجاه الصحيح، وبيان ذلك أن كلمة العقيدة ومشتقاتها لم تأت في المصادر الدينية، فلا نجد مثلا كلمة العقيدة في القرآن الكريم او الفعل منها: اعتقد يعتقد أو فاعلها معتقد، والمفروض في المدرسة السلفية لما كانت تحتج على الآخرين بأن الشيء الكذائي لم يكن على زمن رسول الله أن تكون محجوجة بهذا فهذا الاهتمام العظيم الذي يعطى لهذا المفهوم (**العقيدة**) من دون أن يكون له أثر في القرآن الكريم.. كيف يكون صحيحا؟ وحتى عندما جاءت كلمة (**عقدتم**) فقد أتبعت بالأيمان (**عقدتم الأيمان**) وهو غير ما نحن فيه.

والصحيح هو أن يستبدل ذلك بكلمة (**الإيمان بالله**) فإن هذه الكلمة ومشتقاتها يدور عليها محور آيات القرآن الكريم حيث وردت مع مشتقاتها (**آمن، يؤمن، يؤمنون، المؤمنون، المؤمنات**) ما يقرب من ٨٠٠ مورد.. وهذا الكلام صحيح والاشكال عليهم وارد.

نلاحظ هنا أن الزهراء قالت فجعل الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك.. وكأنما الشرك قذارة تحل بالإنسان ورجس معنوي، بحيث لا يعود ذلك الإنسان هو الطاهر الذي فطره الله على الايمان

به، فبعدما كان ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾ وإذا به يغدو بالشرك ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ ودور الايمان بالله هو أنه يطهر ويزكي ويصفي هذا الإنسان من أدران الشرك وقذاراته. سواء تلك التي ترتبط بالإيمان بغير الله وترتبط بشركه، أو تلك التي ستترتب على الممارسات الخارجية بعدما كان لا يخضع لأوامر الله ونواهيه مع فرض كونه مشركا، ولنا في الواقع الخارجي خير مثال حيث وصل الحال بمن تركوا الايمان بالله إلى مستوى تأباه البهائم لقذارته.

«**وجعل الصلاة تنزيهاً لكم عن الكِبْر**» إن المعادل الآخر للإيمان في جهة القلب هو الصلاة في جهة الفعل فهي عمود الدين، من جهة ومحققة للخضوع في مقابل الكبر الذي يدعو الإنسان للتمرد على أوامر الله سبحانه كما دعا ابليس للمعصية. إن وقوف الإنسان بين يدي ربه في كل يوم خمس مرات منحنيا للركوع سبع عشرة مرة، وواضعا أعلى جزء من بدنه موضعا وشرفا على أدنى شيء وهو الأرض، يفترض بحسب تشريعه أن يكسب الإنسان تواضعا وخضوعا، وأن يجنبه الاستكبار والطغيان.

إن العقدة التي تورد الإنسان المهالك هي الاستكبار، والتعاظم، والتكبر فترى الطواغيت يتكبرون على قبول الحق، والفساق يأبون النصيحة ويرونها دون مستواهم، وهكذا.. والحل في ذلك هو مضاد التكبر وهو الصلاة.

وقد يقول إنسان إننا نرى الكثير من الناس يؤدون الصلاة ولكنهم مع ذلك ليسوا منزهين عن الكبر، ولم تنههم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، والجواب عن ذلك تفصيلا قد ذكرناه في كتاب الصلاة مجمع الكمال[1]. وهذه الأجوبة سارية في سائر التشريعات وفلسفتها وحكمتها.

---

(١) ذكر في الجواب عليه وجوه؛ **الأوّل**: إنّ الانتهاء عن الفحشاء والمنكر مراتب، لنفترض أنّها تعادل مائة درجة، فالإنسان حين يلاحظ معاني الصلاة ويفكِّر فيها ويستحضرها ويقوم بشرائطها كاملة، فهذا تنهاه صلاته مثلاً عن ٧٠٪ من الفحشاء، بينما إنسان آخر لا يفعل ذلك لا تؤثر فيه هذه الصلاة التأثير الكامل وإنما تؤثر بمقدار ١٠٪، فهذا الإنسان الذي يرتكب على سبيل المثال ستين ذنبًا أو سبعين ذنبًا لو لم يكن يصلّي لكان يرتكب مئات الذنوب، فبهذا المقدار الذي يُصَلّيه، صَلاتُه نَهْتُهُ عن ١٠٪ أو عن ٢٠٪، ولو فرضنا نفس هذا الشخص لم يكن يصلي وكان يأتي بالفواحش والمنكرات بنسبة ١٠٠٪ فهذه الصلاة بالنسبة له أثرت فيه بنسبة ١٠٪. إذن طبيعة الصلاة أنَّها تنهى عن الفحشاء وتنهى عن المنكر، لكن ليس نهيا جبريا، وإنما بشكل اختياري طبيعي وتربوي وهذا ليس في الصلاة فقط، فنجد أن الله ﷻ يتعامل معنا بهذا المنظور أيضاً.

الوجه الثاني: إنَّ النقص في التأثير ليس عائدا للصَّلاة، فهي مؤثرة كما أسلفنا وليس في فاعليتها نقص، وإنَّما المشكلة والنقص هو في المستقبل، وبتعبير العلماء في (**القابل**) حيث يقولون إنَّ المشكلة ليست في فاعلية الفاعل وإنَّما المشكلة هي في قابلية القابل، تماما مثلما أنَّ مطر السَّماء ينزل فتصبح الأرض مخضرة، إلا أنَّ بعض البقاع السَّبخة لا يَحْدُث فيها شَيْءٌ مهمَا نزل عليها من المطر العذب، فليست المشكلة في المطر وإنما في خصوص هذه الأرض وملوحتها.

قولها عليها السلام: «**والزكاة تزكية للنفس**»

يتعلق الإنسان بالمال وقد وصف هذا التعلق في القرآن الكريم بالحب الكثير ﴿**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**﴾[1]، وجهة هذا الحب أن مال الإنسان هو مجهوده الذي بذله ووقته الذي صرفه في تحصيله، بل هو جزء من حياته، بالإضافة إلى أنه ضمان له وحافظ عن الحاجة، ولهذا فإن الإنسان عندما يخرج الزكاة كأنما يخرج من جيبه جزءاً من مجهوده، وقسما من حياته، هذا بحسب الظاهر. لكن الإنسان لو نظر بحسب الواقع لوجد أن هذا المال هو لله، وإنما هو رزق رزقه الله إياه وحوله عليه وخوله إياه وجعل أسبابه ميسرة في الطبيعة وأقدر الإنسان على اكتسابه، فهو من كل الجهات من الله وبالله ولله، وإنما جعله في حوزة هذا العبد ليتصرف فيه بشكل عادل وامتحنه بإيجاب إعطائه لعباده المحتاجين لما فرض الزكاة والخمس وأشباهها من الحقوق المالية.

وهنا سيحصل التجاذب بين كون هذا الإنسان يعتقد بأنه هذا المال جزء من عمره وحياته فينبغي أن يحتفظ به وبين كون حقيقة

الوجه الثَّالث: إن التأثير ليس فوريًّا وإنَّما هو تراكميٌّ تدريجيٌّ، ولهذا نقول ليُصَلِّ هذا الإنسان حتَّى لو كان لديه بعض المعاصي والذنوب، ولهذا إذا رأيت إنساناً يصلي ويمارس بعض الفحشاء وبعض المنكر، لا تقل له إن صلاتك لا تنفعك ولا تفيدك والأفضل لك أن تتركها ما دُمْتَ بهذا النحو، هذا غير صحيح، لأن الصلاة تؤثر فيه بشكل تراكمي إلى أن ينتج أثرها.

(١) الفجر: ٢٠

هذا المال (**عارية وأمانة**) من قبل مالكها الحقيقي والمالك يأمره بدفعه إلى آخرين، فعندما ينفذ ذلك ينتصر على نوازع الأنا والذات ويتجه لمساعدة الغير، فتزكو نفسه وتعلو..

بل إن هذا المال حينما يعطى للغير يزكو وينمو وذلك لأن المعطي الحقيقي له والواهب يرى باذله مستحقا للمزيد فيرزقه. وهذا هو النماء في الرزق.

و«**الصيام تثبيتاً للإخلاص**»، فقد قالوا لعل الصوم هو العبادة الوحيدة التي لا يتيسر فيها التظاهر والرياء كما في غيره من العبادات. فالصلاة بطبيعتها تعلن عن نفسها وبالتالي عن إيمان صاحبها، وفيها مظاهر لا تكون في غيرها، فإذا أطال الشخص الركوع والسجود وقراءة السور لأجل أن يراه الآخرون فقد تحقق الرياء، بينما لا نجد هذا في الصوم إذ لا توجد فيه أعمال، فإنه (**الامساك عن المفطرات**) أو الكف عنها، ولا يتحقق إعلان عن هذا، فقد يستطيع شخص أن يكون صائما عدة أيام ولا يشعر به من حوله، لكنه لا يستطيع ذلك بالنسبة للصلاة إلا إذا تخفى فيها.

كما أن في الصوم يستشعر الصائم رقابة خالقه، فلا يفطر مع أنه لو فعل ذلك بالسر لما شعر به أحد فيتركز الاخلاص لربه في نفسه.

«**والحج تشييداً للدين**»:

هو المنظر الذي تتجلى فيها قوة الإسلام والمسلمين ووحدتهم، أن المسلمين وبهذا العدد الكبير يجتمعون على صعيد واحد وفي

حالة انسجام واحدة كما هو المفروض ان يصنع الحج، فهذا يُشيّد الدين. إن قدرة الإسلام على تحريك الملايين من البشر بنظام واحد وفي زمان واحد ونحو هدف واحد وهم يشتركون في عمل واحد قد لا نراها في موضع كما نراها أيام الحج..

«والعدل تنسيقا للقلوب»:

إنما تجتمع القلوب على العدالة والقانون، فإنك لا تستطيع ان ترضي الناس بالأموال حيث لا تكفي حاجات كل الناس بل ربما كانت هي منشأ التنازع بينهم كما هو المشهود. فالعلاج أنك إذا أردت تنسيقاً للقلوب فلتعمل بالعدل، العدل في العطاء، والعدل في القضاء والحكم، ولأجل ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾[1]. وقدمه المعصومون على الجود والكرم لعمومية العدل وخصوصية الجود[2]. فعندما يكون الناس خاضعين للقانون ويكون العدل حاكماً على الجميع تتسق القلوب في الاتجاه الصحيح، ويحصل رضا عام لدى الناس على وضعهم المعيشي.

«وطاعتنا نظاما للملة وامامتنا امانا من الفرقة»

---

(١) النحل: ٩٠

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٤: سئل عليه السلام أَيُّهما أَفضل: العدل، أَو الجود؟ فقال: الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، والْجُودُ يُخْرِجُهَا عَنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا.

لو أن المسلمين أقاموا هذا النظام وأتبعوا هذا الإمام الذي جعله رسول الله ﷺ بمقتضى حديث الثقلين «**ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا**» فـ(**الفرقة**) والاحتراب والتشرذم ضلال بلا اشكال، لماذا؟ لأن الثقلين ليسا هما القائدين للناس، وإنما القادة هم غير ذلك، فمتى ما صارت إمامة أهل البيت عليهم السلام التي هي الثقل الآخر للناس تكون أماناً من الفرقة والتشرذم والضلال.

«والجهاد عزاً للإسلام والصبر معونة على استيجاب الأجر»

لا شك أن من يريد أن يستوجب الأجر ويصل إليه، لا بد له من الصبر على ما يواجه، فهذا الأمر لا يحتاج إلى صرف أشياء كثيرة. هناك بعض الأمور لكي تحصل فيها على الثواب تحتاج إلى معاناة، فالحج يحتاج إلى سفر، الجهاد يحتاج إلى أن تبذل شيئاً كثيراً من بدنك. أما الشيء الذي تريده ولا يحتاج إلى صرف وتريد عليه الأجر الكثير هو الصبر على ما تلاقي، الصبر على المصائب التي تأتي إليك، وهذا لا يحتاج إلا إلى موقف نفسي، يحتاج إلى صمود وتجلد واحتساب، ان تقول حسبنا الله ونعم الوكيل. تحتسب عند الله سبحانه وتعالى، وتصبر على ما أصابك. فبماذا بلغ أيوب ما بلغ؟ بلغ بما تشير إليه الآية المباركة ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[1]، وفي هذه الآية من ابدع اساليب الاستعطاف والاسترحام.. فهو لا يقول اكشف عني ضري أو

(١) سورة الأنبياء: آية ٨٣

أزل كربي وإنما يشير إلى حاله، ويشير إلى فضل ربه ورحمته.. مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.

هذا النحو من التعريض هو من أفضل أنحاء الأدب مع الله سبحانه وتعالى.

هذه الكلمات هي مما جاء في خطاب الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وبينت فيها طرفا من مقاصد التشريعات الإسلامية وفلسفتها، وبالطبع لم تكن عليها السلام في درس فقهي حتى تتعرض لكل الجهات، وإنما هو ضمن المرور على مقدمات تمهد بها المطلب الأساس في الاحتجاج على مؤسسة الخلافة وخطوتها في حرمانها عليها السلام من ميراثها. ومع أنها كانت كذلك على سبيل المقدمات والاسترسال ومع ذلك جاءت بهذا الكلام الدقيق والمتين معنى والبليغ لفظا وأسلوبا.

مجتمع المدينة
بعد النبي في الخطبة الفدكية

مما جاء في خطبة مولاتنا سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام حينما وجّهت خطابها إلى الأنصار أنها قالت: «**إيهاً بني قيلة، أأُهضم تراث أبيَ؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الصرخة، وأنتم ذوو العدد والعدّة والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنّة توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب وتحملتم النصب والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بكم رحى الإسلام ودرّ حلب الأيام وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى حُرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام وأشركتم بعد الإيمان، ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ ألا قد أرى أن**

قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وركنتم إلى الدعة، ونجوتم من الضيق والسعة، فمججتم ما وعيتم ودسعتم الذي تسوغتم، فـ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾».

صدقت سيدتنا ومولاتنا الزهراء صلوات الله وسلامه عليها.

سيتناول حديثنا في ظلال خطبة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تحليلاً للمواقف في المجتمع المدني المسلم، وذلك بُعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث بَيّنت خلال هذه خطبة أنّ هناك ثلاث فئات في هذا المجتمع نعرض لها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

◄ الفئة الأولى: فئة أهل البيت عليهم السلام

يتمثل في رأس هذه القائمة والعنوان أمير المؤمنين عليه السلام ومن تبعه من بني هاشم ومن كان من أنصاره سواء من الأنصار أو المهاجرين.

◄ الفئة الثانية: فئة التيار القرشي

هذا التيار القرشي وهذا التجمع هو الذي انتهى به الأمر إلى أن يسيطر على الخلافة ضمن إطار جمعته الحالة القرشية والذي تمكّن من الاستمرار كوجود متصل في الحكم في الأمة بل حتى على مستوى الفتوى والقضاء وما شابه ذلك.

◄ الفئة الثالثة: فئة الأنصار

الأنصار هم سلالة قبيلتي الأوس والخزرج والذين كانوا

في الأصل قبائل يمنية مهاجرة من اليمن، استقرت منذ القدم في المدينة المنورة، فبعضهم يُرجع أصل وجود هاتين القبيلتين في المدينة المنورة إلى الزمن الذي انهار فيه سد مأرب في اليمن، فأدى حدوثه إلى حالة من القحط والجدب تسبّبت في هجرات. وكما هو معروف فإن اليمن هو مخزن سكاني للعرب كقحطان والقبائل اليمنية الأخرى، حيث تجدهم منتشرين في كل مكان في المدينة وفي الكوفة بعد تمصيرها والتي أصبحوا فيها أكثرية تقريبًا، وفيما بعد هاجروا منها إلى لبنان وإلى الشام وإلى قم وبلاد الري وهذه القبائل اليمنية الموالية لأهل البيت نقلت التشيع.

فمن هذه القبائل اليمنية وعلى أثر انهيار سد مأرب فيما قيل هاجرت الأوس والخزرج إلى المدينة المنورة واستقرت هناك، فحدث في بداية مجيئهم مشاكل بينهم وبين اليهود، ولكن فيما بعد صار الاستقرار لهم وكأنما السيادة والزعامة أصبحت لهم والمال والاقتصاد أصبح بأيدي اليهود.

ما حقيقة موقف قريش من دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت؟.

هذه الفئات الثلاث هي التي كانت حاضرة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بُعيد وفاته، وهناك ملاحظة لا بد أن تستوقف الباحث في التاريخ والناظر في لسان الروايات سواء من نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو من لسان أهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

إننا نلحظ أن لسان الروايات ولحنها كان في شأن قريش غير

ايجابي، بالرغم من أن الاتجاه القرشي كان يصر على نسبة أحاديث لرسول الله في شأن قريش تعظم من شأنهم، وهي على خلاف السياق الطبيعي[1]! فإن قريشا هي القبيلة الوحيدة التي حاربت دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشرين سنة، ثلاث عشرة سنة حينما كان في مكة المكرمة فكانت الحرب بينهما قائمة بشتى أشكالها باستثناء المواجهة العسكرية وسبع سنوات تقريبا بعد الهجرة إلى أن تم فتح مكة وكسرت شوكة قريش!.

(١) زعموا أن النبي قال: قدِّموا قريشا ولا تَقَدّموها، وتعلموا من قريش ولا تُعلموها، ولولا أن تبطر قريش لأخبرتها ما لخيارها عند الله تعالى. ونقل كذلك: «**الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم**». ولا نعلم هل كان هذا بسبب معاداة قريش للنبي ودعوته من يومه الأول إلى أن فتحت مكة وهم كارهون بعدما جيشوا الجيوش عليه حتى ظهر أمر الله؟ فأعطاهم جائزة على ذلك؟ أو أن الصحيح هو ما قاله في شأنهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي بين أن قريشا (**أجمعت**) على منازعته كما جاء في نهج البلاغة ١/ ٣٣٦ – ط دار الكتاب اللبناني. «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وأَكْفَئُوا إِنَائِي وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي**» وأستعديك يعني أستعينك عليهم. نعم ربما ورد من طريق الإمامية أيضا أن الأئمة من قريش، لكن هذا ليس مدحا بمقدار ما هو تحديد وتعريف، مثلما أن تقول إن النبي محمدا هو من العرب. فلا يشكل ذلك فضيلة بالضرورة للعرب. أو قد يكون له وجه آخر وهو الاشارة إلى المنتخبين من هذه القبيلة مثل بني هاشم، فالمدح ليس لكل من تعنون بالقرشي وإنما لهذه الفئة الخاصة من هذه القبيلة.

عشرون سنة من العداء والمواجهة بين قريش وبين النبي حاولت فيها قريش قتل النبي والقضاء على دعوته ومكروا ما استطاعوا وتحالفوا مع سائر القبائل وتآمروا مع اليهود ودبروا ولكن كان مكر الله أسرع وتدبيره أقوى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

فهل كان النبي يدعو الناس إلى أن يتعلموا من قريش كيفية محاربة الأنبياء وقتال الرسل؟ وإلا ماذا يعني: تعلموا منها ولا تعلموها؟ قريش لم يكن عندها علم إلا في الأصنام والأوثان والربا الاقتصادي واستعباد الإنسان وإكراه الجواري على البغاء.. فهل هذه ما ينبغي أن يتعلم منها المسلمون؟ مع أن هذه الأحاديث التي زورت على النبي يفترض انه قالها أيام حياته يعني ما بينه وبين نهاية اسطورة قريش ومقاومتها إياه غير أقل من ثلاث سنوات! ما بين فتح مكة ووفاته صلوات الله عليه وآله.

إلا أن هذا الخط القرشي أعاد تشكيل نفسه بعد وفاة النبي وضِمن عملية معينة استطاع أن يسيطر على الأوضاع وأن يأخذ الخلافة وأن يصبح رجاله من جديد قادة الإسلام.

◄ موقف النبي وأهل البيت عليهم السلام من الأنصار:

بعكس ما كان في أمر قريش، فإن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن

(١) الأنفال:٣٠

الأنصار حديث إيجابي يتضمن المدح والثناء عليهم، وذلك راجع إلى أنهم بالفعل كانوا كما صار اسمهم (**الأنصار**) والحديث عنهم لو ورد فإنه يكون على القاعدة! ويكفي ما جرى بعد حنين من موقف وقفه هؤلاء الأنصار، مما نقله ابن هشام في سيرته، قال:

لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفى قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم:لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وَجدوا عليك (**تأثروا**) في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبتَ، قسمتَ في قومك، وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال:فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي.

قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجِدةٌ وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم! قالوا: بلى، الله ورسوله أمَنُّ وأفضل. ثم قال:

ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم، فلصَدقتم ولصُدقتم: أتيتنا مكذَّبًا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك. أوَجَدتم يا معشر الأنصار في انفسكم في لُعاعة (**بقية يسيرة**) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا[1].

هذا الموقف وأمثاله من قبل الأنصار هي التي جعلت الزهراء بعد أن أثنت على مواقفهم السابقة في نصرة النبي، تعاتبهم بقوة مستغربة من موقفهم الجديد الخاذل الذي لا ينسجم مع تاريخهم المشرف ولا معرفتهم بموقع الزهراء وأهل البيت عليهم السلام.

بينما بنفس المقدار كان كلامها شديدا في حق التيار القرشي، الذي وصفته بأن تاريخه كان تاريخ المتربص بالدعوة والنبي الدوائر والناكص عند النزال والفار من القتال، والمخطط للمصالح الذاتية.

(١) الحميري، ابن هشام السيرة النبوية ٤/ ٨٧.

في الوقت الذي كان فيه أهل البيت على خط المواجهة الأول كان الحزب القرشي في رفاهية من العيش وادعين هانئين آمنين!.

وتمر الأيام فإذا بهؤلاء الذين لم يضحوا بشيء أصبحوا يحوزون كل شيء، فصار قصارى ما يطمح إليه الأنصار معهم أن يكونوا وزراء بينما يكون أعيان الحزب القرشي هم الأمراء! وأما الخط المضحي والمجاهد من أهل بيت النبي ومن سار معهم، فقد أخرجوا من كل ذلك.

بل سيزداد الأمر سوءا فيما بعد سنة ٤٠ هـ عندما يستلم الأمويون الخلافة لكي يصبح شتم كبير أهل البيت عليهم السلام وهو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سنة قائمة، وسيصبح ذم الأنصار وهجاؤهم بواسطة أجهزة الاعلام الأموي سياسية، ما عبر عنه الأخطل الشاعر النصراني السكير، والحائز على جوائز البلاط الأموي في دمشق لكي يهجو الأنصار ويسبّهم، ببذاءة، فمما اشتهر عنه قوله:

لعن الإله من اليهود عصابةً
بالجزْع بين صليصل وصرارِ[1]
خلّوا المكارم لستم من أهلها
وخذوا مساحيكم بني النجار

(١) منطقتان في المدينة، ويلاحظ أنه أبقاهم في دائرة اليهود، ونفاهم من الدائرة الإسلامية مع أنه مسيحي منحرف، وهم الذين بجهدهم شاد الإسلام بناءه وكيانه!

ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلى
واللُؤم تحت عمائم الأنصارِ

بل كان معاوية نفسه يهين الأنصار ما استطاع، لا سيما وأن الموقف العام للأنصار في المدينة كان سلبيا تجاه الأمويين، وهذا ما كشفه حين زار المدينة وواجهه الأنصار بفتور فلم يستقبلوه بما كان يتوقع من الحفاوة، باستثناء النعمان بن بشير ومعه بعض اقاربه، والنعمان التحق بالنهج الأموي فكان لزاما أن يخرج!(١).

إيهًا بني قيلة: العتاب الشديد من الزهراء عليها السلام للأنصار

هذه الفئة التي كان لها الدور الأكبر في نصرة الإسلام، تخاطبها سيدة النساء عليها السلام وتقول: «**إيهًا بني قيلة(٢)! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذو والعدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة. توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي الاحتجاج ٢/ ١٥ في تتمة الخبر.. فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالها لم تستقبلني؟ فقيل له: إنهم محتاجون ليس لهم دواب. فقال معاوية: فأين نواضحهم؟ فقال قيس بن سعد بن عبادة - وكان سيد الأنصار وابن سيدها -: أفنوها يوم بدر واحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله، حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون، فسكت معاوية!

(٢) جدة الأوس والخزرج

التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت؛ قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين. فأنى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان؟».

كان موقف سيدة النساء فاطمة عليها السلام صريحا واضحا في تشخيص هذه الفئات، في نفس الوقت الذي حمّلت فيه المسئولية الاتجاه القرشي وواجهتهم بالحجج والبراهين، واتهمتهم بأنهم يدبرون هذا الأمر عن عمد في ذلك، ومخالفين لكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولبصائر القرآن، عرّجت على موقف الأنصار وأدانت هذا الموقف وبينت أنه لم يكن متوقعًا منهم هذا الأمر، ونعتقد أن مواقف الأنصار في الجملة قد تغيّرت فيما بعد وحاولوا بل حتى ذراريهم أن يغسلوا هذه اللطخة من الخذلان، وربما يكون جزء من ذلك راجعًا لتأثير خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولذلك يلاحظ أن موقف الأنصار كان إيجابيا تجاه خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسلبيا جدا تجاه معاوية حتى كان لا يجد من يناصره إلا مثل النعمان بن بشير وكان النعمان يُعيّر بذلك! مع أن النعمان نفسه وهو الذي أصبح في ركاب الأمويين كان بالقياس إلى القرشيين الذين ناصروا الأمويين متجنبا للصدام مع أهل

البيت ما استطاع، وينبئ عن هذا موقفه وهو والي معاوية ويزيد من بعده تجاه مسلم بن عقيل بن أبي طالب الذي جاء رسولا من الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة فإنه لم يصطدم معه بل أرسل له إنه إن لم يعرض مسلم للنعمان فلن يعرض النعمان لمسلم! وهكذا ما نقل من أنه كان مرافقا لركب الأسارى من أهل البيت في طريقهم من الشام إلى كربلاء وأنه كان بهم رفيقا وبالطبع هذا الكلام لا يزكيه ولا يعذره عند ربه كما نعتقد، ولكن أوردناه للاستشهاد على ما نحن فيه وقياسه مثلا على موقف عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق الذي كان منذ بداية أمره صداميا وأوكلت له مهمة اغتيال الحسين في مكة، ولما رجع ركب الاسارى للمدينة أظهر شماتته وفرحه بذلك[1]!.

(١) للتفصيل يمكن مراجعة كتابنا صفحات من السيرة الحسينية.

فدك: قضية الزهراء... التاريخ والدلالات

قال سيدنا ومولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «**بلى كانت في أيدينا فَدَك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله. وما أصنع بفَدَك وغير فدك، والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق**».

هذه الكلمات المنقولة في نهج البلاغة مما جمعه الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه من كلام امير المؤمنين صلوات الله عليه، تكتسب اهمية استثنائية في كونها تجيب على عدة اسئلة تاريخية من شاهد عيان للحوادث، بالإضافة إلى عصمته.

إحدى هذه القضايا التي تجيب عنها هذه الكلمات، أن «**كانت في أيدينا**»، يعني في يد أمير المؤمنين، وفاطمة. وهذه الجملة مهمة جدا، لما سيأتي من أن يد الشخص على شيء هي حجة شرعية له

على الملك، وأن من ينازعه فيها يحتاج إلى دليل وبرهان..

وأيضا سيثير هذا سؤالا عن أن الإمام عليه السلام لماذا لم ينتزع فدكا في أيام خلافته ويصيرها في ميراث بني فاطمة عليها السلام؟.

◄ **سنتناول باختصار ثلاث نقاط رئيسية:**

١) فدك من الناحية الجغرافية وسرد الأحداث التاريخية المرتبطة بها.

٢) فقه قضية فدك وقصة مطالبة الزهراء عليها السلام بحقها.

٣) رمزية قضية فدك لدى أهل البيت عليهم السلام.

◄ **أولا: فدك جغرافيا وتاريخيا:**

فدك: منطقة تبعد حوالي ١٤٠ كم من المدينة المنورة، وكانت مستوطنة من قبل اليهود قبل مجيء النبي محمد إلى المدينة، وكانت هذه المنطقة تتميز بالمياه الوفيرة والأرض الخصبة. وهي الآن تسمى محافظة الحائط على الخرائط الرسمية.

١) وفي نظرة تاريخية لكيفية السيطرة عليها، يقال: كان اليهود يتفاخرون سابقاً أن لهم كتابا سماويا ونبياً مبعوثا وهو موسى عليه السلام، وأنهم أحباب الله المنصورون[1] من قِبله وأن النبي الذي سيبعثه الله في مكة سيؤيدهم، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأوا أنه ليس منهم

(١) لتفصيل عقائدهم وتاريخهم يمكن الرجوع إلى كتابنا قصة الديانات والرسل.

تنكروا[1] له وبدأوا يتحزمون لمحاربته. وتحالفوا مع المشركين ضده، مع ذلك لم يعلن النبي الحرب عليهم، بل دعاهم للسلم وجعل بينه وبينهم وثيقة هي من أقدم النصوص التي تبين العلاقة بين المسلمين واليهود، فيها حوالي ٥٠ مادة مهمة تحفظ لليهود كل حقوقهم الدينية والمدنية والاجتماعية، عرفت بوثيقة المدينة. ومع ذلك لم يفِ اليهود. وتحالفوا مع كفار قريش وناصروهم في غزوة الخندق حينما اجتمع الأحزاب ووعدوهم انهم لو انتصروا سيجعلون حاصل تمر خيبر لقريش تلك السنة، تحريضاً وتطميعاً لهم.

وبعد هزيمة الأحزاب، دعا اليهودُ النبيَّ ﷺ إليهم بحجة توضيح الأمور وطلب السلم، وأرادوا بذلك أن يأتي النبي اليهم بغرض اغتياله برمي حجر ثقيل من الأعلى عليه ﷺ. ولم تكن المحاولة الوحيدة لهم.

حينها رأى النبي ﷺ أن اليهود لا يلتزمون بعهد ولا ميثاق ولا يحبون أن يتعايشوا مع المسلمين وهم أكثرية سكان المدينة فبالإضافة إلى تخريبهم للأوضاع الاقتصادية من خلال أعمال الربا وما شابهها، وتآمرهم مع أعداء المسلمين وتخطيطهم لاغتيال النبي.. لم ير بدا من مواجهتهم عسكريًّا. ونزل الوحي في نهاية السنة السادسة للهجرة أن يغدو إلى بني قريظة ليحاربهم. ويوجد

---

(١) ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٨٩.

حديث مشهور عن النبي: أن «**لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة**»، كناية على العزم على المواجهة فوراً.

٢) في السنة السابعة وقعت معركة خيبر مع اليهود، ونصر الله نبيه بالرغم من استعانة اليهود بقريش وثقيف، حتى قيل إن عيينة بن حصن الغطفاني زودهم بثلاثة آلاف مقاتل للدفاع عن اليهود. لكن الله نصر المسلمين بتخطيط نبي الله وبقيادة الإمام علي عليه السلام. هجوم المسلمين بهذه الطريقة على خيبر، والتي كانت سبع قلاع محصنة - يكفيك ان أبوابها كانت قطعة من الحجر - مع ٢٠ ألف من اليهود و٣ - ٤ آلاف ممن يؤازرونهم انهاروا امام جيش المسلمين. وهذا الانهيار سبب هزيمة اليهود معنويا في أنحاء المدينة ومناطقها وأصبح همهم النجاة فقط. فأرسلوا إلى النبي أنهم يستسلمون شريطة أن يسلموا على انفسهم ويسلمون للنبي ما تحت أيديهم من الأرض والزرع.

فقبل رسول الله، فكانت فدك أرضا من تلك المناطق التي لم تفتح بحرب ولا قتال بل سلم أهلها طواعية. وحكم هذه في الفقه الإسلامي عند جميع المسلمين هي أنها تكون ملكا خالصاً لرسول الله، لا يشاركه فيها أحد، باعتبار الآية ﴿**مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ**﴾[1]. أما في حال خيبر

(١) الحشر: ٧

﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[1] فخمس هذه الغنيمة للرسول وأربعة أخماس للمقاتلين المسلمين.

٣) في نهاية السنة السابعة نزلت الآية ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[2] على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوهب لفاطمة فدَكًا[3]. فبقت عندها ثلاث سنوات وعدة شهور إلى وفاة الرسول الأعظم نهاية شهر صفر السنة الحادية عشر. وفي هذه الفترة بعد أن استلمتها السيدة فاطمة عينت فيها عمالا – تحت ادارة امير المؤمنين –، لهذا قال «**تحت ايدينا فدك**»، ولذلك يذكر بعض المحققين[4]، ان حال بيت علي وفاطمة بعد سنة ٧ هجرية (**أي بعد اعطاء النبي فاطمة فدك**) تغير من الناحية المادية وذلك لما كان يعود عليهما من خراج فدك.

---

(١) الأنفال: ٤١

(٢) الإسراء: ٢٦

(٣) ذكر القندوزي الحنفي ذلك في ينابيع المودة لذوي القربى ١/ ١٣٨ فقال: قول الله تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ خصوصية لهم [خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة]، فلما نزلت هذه الآية [على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام: هذه فدك وهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذيها لك ولولدك.. وقد ورد من طريق الإمامية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فيما نقله الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي ٦١٩ من مناظرة للإمام عليه السلام مع علماء عصره.

(٤) المحقق الكرباسي في دائرة المعارف الحسينية

٤) بعد وفاة النبي ﷺ، ضمها الخليفة الأول لبيت مال المسلمين، والثاني أيضا، اما الخليفة عثمان فرأى أن أقاربه أولى بها، فدفعها خالصة لمروان بن الحكم. في أيام أمير المؤمنين خرج منها مروان وضمها الإمام إلى بيت مال المسلمين مرة أخرى ولم يجعلها لنفسه او أبنائه[1].

(١) من الأسئلة التي تقال: لماذا لم يسترجعها أمير المؤمنين زمان ولايته، حتى عد بعضهم ذلك مما يدل (!) على أنها لم تكن لفاطمة وولدها! وجواب ذلك على سبيل الاختصار؛ إنهم لو رجعوا إلى كلام أمير المؤمنين لوجدوا فيه الدلالة كافية فقوله (**بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلت السماء**)!! وكونها في أيديهم إما بالتسلط العدواني زمان النبي وهو منتف قطعا أو هو بجهة شرعية وهو يدل على التملك بما عرف بين المسلمين بل بين العقلاء من كون يد الإنسان على شيء أمارة على ملكه، ومن ينازعه عليه أن يثبت حقه بحجة شرعية. هذا أولا.. وأما ثانيا فلأنها لو لم تكن لفاطمة نحلة وهدية لكانت ميراثا باعتبار أنها ملك خالص لرسول الله، فهي الوارثة بعده. حيث لم يبق من أولاده (**ذكورا وإناثا**) غيرها. وأما لماذا لم يرجعها الإمام علي عليه السلام، لنفسه ولأبنائه فإنه لو فعل وهو الزاهد وأولاده مثله فلأنه سيشبه حينها بما صنعه الخليفة الثالث الذي نقم عليه من نقم لإيثاره أقاربه من بيت مال المسلمين.. فإذا فعل علي عليه السلام ذلك.. فما فرقه عن غيره؟ لا سيما وأن هناك من اعترض عليه في قضية صلاة التراويح فهل يحتاج الإمام إلى قضية جديدة يثيرها عليه مخالفوه؟ لو فعل ذلك لما رأى الناس منذ ذلك اليوم وإلى يومنا عليا عليه السلام صوتا للعدالة الإنسانية! والحاكم الأكثر عدالة في تاريخ البشر بعد النبي المصطفى، وصاحب مقالة (**لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق**) وما دامت القضية مادية وتخصه وأبناءه

عندما سيطر معاوية على الحكم، قسم فدكا على ابنه يزيد ومروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان. ولعل قول دعبل الخزاعي:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات

ناظر إلى هذا وأمثاله.

بعد معاوية تداولها المروانيون، إلى زمان عمر بن عبد العزيز الذي ردها إلى أهل البيت. بعده يزيد المرواني أخذها وظلوا يتداولونها إلى أيام العباسيين. وفي زمان العباسيين ردها المأمون[1] الى أهل البيت. بعدها تداولوها إلى أيام المتوكل العباسي الذي أعطاها أحد ولاته... وبذلك انتهت قصة فدك من التاريخ، حيث أصبحت أملاكاً شخصية.

◄ ثانيا: فقه قضية فدك، وكيفية تعامل الخلافة معها

أول ملاحظة في فقه فدك، انه بعد أن أخذ الخليفة الأول فدكاً، ذهبت فاطمة عليها السلام تطالب بحقها، قالت انها نحلة من

من ولد فاطمة فالزهد فيها أنسب من الحرص عليها! وهذا ما أشارت إليه فقرة (**وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس في مظانها غدا جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق...**)

(١) وحينها قال دعبل الخزاعي مؤرخا الحادثة: أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمون هاشم فدكا.

والدي، فطلب منها الإتيان بالشهود، وهذا أول الأخطاء من الناحية القانونية، فإن الإسلام لا يطالب صاحب اليد[1] والذي هو مالك الشيء بالإتيان بالشهود، بل من يدعي خلاف ذلك يطالب بالشهود، والا لما بقي نظام اجتماعي للملكية الشخصية! حيث سيطالب ساكن البيت بالإتيان بشهود، وصاحب السيارة بشهود... ولعل السيدة الزهراء ارادت ان تبين للأمة ان الخلافة لا تفقه مبادئ الأحكام وأسس القضاء.

تَنَزّلا أتت فاطمة بالشهود، وكما قال الشاعر:

فأقامت بذا شهودا فقالوا بعلها شاهد لها وابناها

جاءت بعلي وبأم أيمن وبالحسنين، فردت شهادتهم. هذا مع

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١/ ١٣٢: «**جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهودا أن رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين. قال: لا. قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟ قال: إياك أسأل البينة، قال: فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادعوها شهودا، كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟ فسكت أبو بكر. فقال عمر: يا علي دعنا من كلامك. فإنا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فيء للمسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه**».

أن «**علي مع الحق والحق مع علي**». ومع شهادة النبي لأم أيمن أنها من أهل الجنة[1] والحسنان سيدا شباب أهل الجنة وقد قبل رسول الله شهادتها (**رغم صغر سنهما**) كما دون في بعض الوثائق والكتابات. لم يقبل ذلك ونزعت فدك منها بذريعة انها ليست نحلة، بالرغم من يد الزهراء عليها، مع أن عاملها فيها، ومع الشهود المذكورين.

جاءتهم عليها السلام أيضاً من منطلق الوراثة، حيث الزهراء عليها السلام الوارث الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله من أولاده (**ذكورا وإناثا**) فلما كانت فدك قد فتحت من غير قتال، ودخلت في ملك النبي الخاص، فبمنطق الوراثة تكون ملكاً لفاطمة.

هنا توجد مغالطة من قبل البعض: حيث يدعون انه لدينا -المذهب الاثنا عشري- النساء لا يرثن من الأرض، والصحيح أن الزوجة لا ترث من الأرض وانما ترث مما على الأرض. البنت ترث من كل شيء.

فهذا الذي يقال هو حجة للإمامية لإخراج زوجات النبي من ميراث الأرض، ولا يكون حجة عليهم.

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١/ ١٣١: «**قالت فاطمة لأبي بكر: لَمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى؟ فقال: هاتي على ذلك بشهود. فجاءت بأم أيمن، فقالت له أم أيمن: لا أشهد يا أبا بكر حتى احتج عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، أنشدك بالله ألست تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال أم أيمن امرأة من أهل الجنة فقال: بلى. قالت فأشهد: أن الله عز وجل أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**».

هنا استشهد الخليفة الأول بحديث: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وما تركناه فهو صدقة**». وقد ذكر العلماء من السنة والشيعة على أن ناقل هذا النص هو الخليفة الأول، لم ينقله أحد غيره. هنا يستغرب الكثير ومنهم من علماء مدرسة الخلفاء، أن الأشخاص الذين ينبغي على النبي ان يبلغهم هذا الحديث هم العباس عمه وعلي وفاطمة، فلِمَ سمعه الخليفة الأول دونهم؟.

وفي الحديث ملاحظات سنَدية ودلالية، وقراءات مختلفة تغير كلُّ قراءةٍ المعنى بنحو يختلف تماما عن القراءة الثانية. وقد يكون لنا بحث خاص يرتبط به لتبيين ذلك.

في مقابل ذلك واجهت الزهراء عليها السلام كلام الخليفة بآيات القرآن المحكمات وسيرة الأنبياء المذكورة وهي قائمة على الوراثة، بنحو العموم وأنه يشملهم ما يشمل غيرهم، وأيضا استشهدت بخصوص وراثة الأنبياء بعضهم لبعض، وأن النبي لا يغير في ذلك ولا يخالف آيات القرآن الكريم.. لكن كل ذلك الكلام والاستدلال لم يؤثر في تغيير موقف الخلافة.

فهي في البداية وجهت الخطاب لجميع المسلمين داعية إلى الاحتكام للقرآن ومنكرة عليهم الاعراض عنه.

«**فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم؛ أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه**

تريدون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾»[1].

ثم خاطبت الخليفة خصوصا بآيات الميراث «**أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريّا! أفعلي عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، وقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**».

«**وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا؟! أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: أن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك؛ فنعم الحكم الله، والزعيم محمد ﷺ، والموعد القيامة**» فهي عليها السلام قد أوردت آيات الميراث التي تثبت بعمومها أو اطلاقها أن حكم الميراث شامل للأنبياء ولغيرهم، في مثل يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فهذا الخطاب كما يشمل عامة الناس يشمل النبي ﷺ، وهكذا قوله

(١) الخوئيني، اسماعيل الأنصاري: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (س) ١٣/ ١٩٨

تعالى ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فهو يشمل النبي وغيره، وقد يقال بأن الحديث الذي نقله الخليفة مخصص لآيات القرآن فيمكن أن يأتي حكم عام في القرآن وتأتي السنة لكي تخصصه، فليكن هذا الحديث مخصصا لآيات القرآن في موضوع الأنبياء بأن يكون كل أحد يرث من وارثه إلا الأنبياء فإنهم لا يرثون ولا يورثون.. فردت الزهراء عليها السلام على هذا الاحتمال بأن أوردت آيات القرآن الخاصة بميراث الأنبياء أنفسهم خاصة مما ينفي هذا التوجيه بالكامل فاستشهدت بآية ميراث سليمان من داود وميراث يحيى من زكريا! فهذه الآيات تكذب ما قيل من أن الأنبياء هذا شأنهم أن لا يرث بعضهم بعضا! ولم يقل الحديث المنسوب للنبي محمد أنا هكذا وإنما قال بحسب ذلك الحديث نحن معاشر الأنبياء وهذا ما تكذبه آيات القرآن.

وبالرغم من أن بعض المدافعين عن (**خطأ**) الخلفاء حاولوا تفسير هذه الآيات بأن المقصود منها هو وراثة العلم والنبوة دون المال والمتاع إلا أنه دفاع هزيل فهو إخراج اللفظ عن معناه الحقيقي من دون مبرر ولو فتح الباب لهذا لضاعت الأحاديث ومعانيها بل القرآن وأحكامه إذ لا يحمل اللفظ على غير معناه الحقيقي إلا لعدم إمكان ذلك لسبب من الأسباب وليس منها تنزيه الخليفة!! على أن هذا الحمل في نفسه غير ممكن فمتى كانت النبوة والعلم بالوراثة؟ لو كانت كذلك لورث العلم والنبوة ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه، وابن نوح الذي هو (**عمل غير صالح**)، وهكذا! إن النبوة اختيار الهي

خاص لا يحصل لشخص لأن أباه فلان فلم يكن والد سيد الأنبياء نبيا، ولا العلم يحصل لشخص لأن والده كان عالما! فلا معنى لأن يرث يحيى النبوة او العلم من أبيه زكريا أو سليمان من داود!

بل إنها عليها السلام أشارت بشكل غير مباشر إلى التشكيك في صدور هذا الحديث؛ فإنها أكدت أن النبي وعليا عليهما السلام أعلم منكم بخصوص القرآن ولا مجال للمقارنة بينكم وبينهم، وهم لم يعملوا بما يدعى من تخصيص القرآن بالحديث! بل ترقت فوق ذلك بالقول إلى أن هذا الحديث المدعى يخالف القرآن ويصادم أحكامه فمن يزعم صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول بوعي أو غير وعي إن النبي يخالف أحكام القرآن ويرغب عن آياته! وتعجبت باستغراب من دعوى ذلك فقالت: «**سبحان الله! ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا! بل كان يتّبع أثره، ويقفو سوره. أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور؟ وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته** [1]».

وحتى تغلق عليها السلام الباب تماما على الاتجاه المخالف في الاستدلال أشارت إلى أنه لا يوجد بعدما تحقق المقتضي للإرث أي مانع منه إلا أن تزعموا أن ابنته على غير ملته والعياذ بالله فإن الكافر لا يرث من مسلم «**أم هل تقولون: أن أهل ملتين لا يتوارثان أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟**»

(١) المصدر السابق ٢٠١.

◄ **ثالثاً وأخيراً: فدك.. رمز الحق المغصوب:**

إن خلافة تبدأ في الايام الاولى من عهدها بظلم ابنة الزعيم الذي أتى بهذا الدين، ما ستصنع بغيرها؟.

هل يمكن لهذه الخلافة ان تؤمن حقوق الناس العاديين والضعفاء الذين لا يمتلكون هذه المكانة والرفعة الاعتبارية؟.

الخلافة اما ان تعرف الأحكام الشرعية او لا. فان كانت تعرفها وتخالفها فتلك مصيبة. وان كانت جاهلة بها اصلا، فكيف لها ان تسير امة ورسالة كما سيرها رسول الله، وباسم رسول الله؟.

لذلك فدك اصبحت شعارا لحق مضيع، ينقل ان الإمام الكاظم قال للمهدي «**ما بال مظلمتنا لا ترد**»[1]، يعني فدكا....

---

(١) الكليني، الكافي (**دار الحديث**) ٢/ ٧٢٥.. لَمَّا ورَدَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسى عليه السلام عَلَى الْمَهْدِيِّ رَآهُ يَرُدُّ الْمَظَالِمَ، فَقَالَ: «**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا بَالُ مَظْلِمَتِنَا لَا تُرَدُّ؟**» فَقَالَ لَهُ: ومَا ذَاكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وتَعَالى - لَمَّا فَتَحَ عَلى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فَدَكَ ومَا والَاهَا، لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ ولَا رِكَابٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: «وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ»** فَلَمْ يَدْرِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَنْ هُمْ، فَرَاجَعَ فِي ذلِكَ جَبْرَئِيلَ عليه السلام، ورَاجَعَ جَبْرَئِيلُ رَبَّهُ، فَأَوْحى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنِ ادْفَعْ فَدَكَ إِلى فَاطِمَةَ عليها السلام، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ لَهَا: يَا فَاطِمَةُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكِ فَدَكَ، فَقَالَتْ: قَدْ قَبِلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ ومِنْكَ، فَلَمْ يَزَلْ وُكَلَاؤُهَا فِيهَا حَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَلَمَّا وُلِّيَ أَبُو بَكْرٍ، أَخْرَجَ عَنْهَا وُكَلَاءَهَا..

لو صحت هذه الرواية، لعل الإمام يريد أن يشير بفدك إلى الخلافة المغتصبة والإمامة المختطفة من أهل البيت عليهم السلام.

دافعت الزهراء عليها السلام عن هذا الحق – حق شرعية الإمامة – وأمست اول شهيدة في هذه القضية المقدسة. ضحت بجنينها المحسن، وبنفسها، لاحقة لأبيها، مظلومة مهضومة مكروبة – إلى حد أن يقول أمير المؤمنين في الزيارة «**وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها، فاحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا..**».

نص خطبتي فاطمة الزهراء عليها السلام

◄ ١) خطبتها في المسجد (المشهورة بالخطبة الفدكية)

روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام [١]: «**إنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمّة[٢] من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة[٣] فجلست ثم أنّتْ أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في**

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١/ ١٤١؛ وقد اخترنا نص الخطبة الذي نقله في الاحتجاج لأنه فيما نعتقد أسلم النصوص وأكثرها استقامة. وسنستفيد مما في معاني الكلمات مما كتبه في الحاشية العلامة السيد محمد باقر الخرسان.

(٢) لمة: جماعة، والحفدة: الأعوان.

(٣) علق إزار أو قطعة قماش.

كلامها، فقالت عليها السلام: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، وإظهارا لقدرته، تعبدا لبريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نقمته، وحياشة[1] لهم إلى جنته، وأشهد أن أبي محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة علما من الله تعالى بما يلي الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظلمها،

(١) سوقا لهم

وكشف عن القلوب بهمها[1]، وجلى عن الأبصار غممها[2]، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمد ﷺ من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيّه، وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته».

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: «**أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدا إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الإيمان: تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة: تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام: تثبيتا للاخلاص، والحج: تشييدا للدين، والعدل: تنسيقا للقلوب، وطاعتنا: نظاما للملة، وإمامتنا: أمانا للفرقة والجهاد: عزا للإسلام،**

(١) مبهماتها

(٢) الملتبس من الأمور

والصبر، معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف:مصلحة للعامة، وبر الوالدين: وقاية من السخط، وصلة الأرحام: منساة في العمر منماة للعدد، والقصاص: حقنا للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر: تنزيها عن الرجس واجتناب القذف: حجابا عن اللعنة، وترك السرقة: إيجابا بالعفة، وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، فـ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾».

ثم قالت: «أيها الناس اعلموا إني فاطمة وأبي محمد ﷺ أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا[1] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. فإن تعزوه[2] وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المَعْزِيُّ إليه ﷺ، فبلغ الرسالة، صادعا[3] بالنذارة مائلا عن مدرجة[4] المشركين ضاربا ثبجهم[5] آخذا بأكظامهم[6] داعيا إلى

(١) باطلا.
(٢) تنسبوه.
(٣) مظهرا.
(٤) مسلك.
(٥) وسطهم.
(٦) مخرج أنفاسهم.

سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسّر الأصنام وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه[١] وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين[٢] وطاح وشيظ النفاق[٣] وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفُهتُم[٤] بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص[٥] وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع[٦] وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام[٧] تشربون الطَّرَق [٨] وتقتاتون القد[٩] أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ، وبعد أن مني ببهم[١٠] الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين[١١]

---

(١) انشق الليل عن الصبح.
(٢) أصواتهم كشقشقة الجمل.
(٣) الأراذل.
(٤) تفوهتم بكلمة التوحيد.
(٥) يقصد بهم أهل البيت.
(٦) مذقة: شربة قليلة، ونهزة: فرصة ينتهزها الطامع.
(٧) قبسة العجلان: كل متعجل يأخذ منكم ويسلبكم، وموطئ الأقدام: تداسون بالأقدام.
(٨) الطرق: المياه الوسخة المطروقة بأبوال الإبل.
(٩) الجلد غير المدبوغ.
(١٠) شجعان الرجال، وكذلك ذؤبان العرب.
(١١) فغر: فتح فمه

قذف أخاه في لهواتها[١] فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه[٢] ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا، كادحا، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون [٣] آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق[٤] وسمل[٥] جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل[٦] الأقلين وهدر فنيق[٧] المبطلين فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه[٨] هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم[٩]فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم هذا والعهد قريب والكلم[١٠] رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتدارا [١١] زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ

(١) لهوات: جمع لهاة وهي لحمة في أقصى الفم
(٢) الأخمص: الأقدام
(٣) ساكنون ناعمون
(٤) عداوته
(٥) أصبح خلِقا قديما
(٦) ظهر من لا قيمة لهم
(٧) الفنيق هو الفحل من الابل، وهدر ارتفع صوته
(٨) تشبيه بالقنفذ الذي يخرج رأسه بعد زوال الخوف
(٩) استفزكم
(١٠) الجرح
(١١) استباقا.

سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأني تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها[1] ويسلس قيادها[2] ثم أخذتم تورون وقدتها[3] وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسوا في ارتغاء[4] وتمشون لأهله وولده في الخُمرة والضراء[5] ونصبر منكم على مثل حز المُدى[6] ووخز السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته».

«أيها المسلمون أغلب على إرثيه؟ يا بن أبي قحافة أفي كتاب

---

(١) نفرت الدابة جزعت وتباعدت.

(٢) يسهل.

(٣) تشعلون لهبها.

(٤) وحسوا في ارتغاء: مثل يضرب لمن يظهر ويريد غيره.

(٥) الخمر بالفتح: ما واراك من شجر وغيره، والضراء بالفتح: الشجر الملتف بالوادي.

(٦) قطع السكاكين.

الله ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريًّا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وزعمتم: أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة[1] تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾».

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: «**يا معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي والسِّنَة[2] عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول «المرء يحفظ في ولده»؟**

---

(١) كأنها ناقة مجهزة فيها الخطام وعليها الرحل، كناية عن الظلامة التي حصلت

(٢) الغميزة؛ ضعف النصرة، والسنة: أول درجات النوم.

سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة[1] ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد ﷺ؟ فخطب جليل: استوسع وهنه واستنهر[2] فتقه وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت[3] الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة[4] عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في أفنيتكم، وفي ممساكم، ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافا، وصراخا، وتلاوة، وألحانا، ولقبله ماحل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾».

«أيها بني قيلة[5] أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجُنّة توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح،

---

(١) إهالة: بكسر الهمزة الدسم. وسرعان ذا إهالة مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته..

(٢) اتسع.

(٣) قل خيرها.

(٤) داهية.

(٥) بنو قيلة هم الأوس والخزرج.

معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين فأنّى حِرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤسا لقوم ﴿نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض[1] وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم[2] فـ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة وبثة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دَبِرة[3] الظهر نقبة الخف

(١) تمايلتم إلى اللين والسعة

(٢) تقيأتم ما شربتم

(٣) شبهت وضعهم بناقة فيها مرض جلدي في ظهرها وخفها قد انثقب.

باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. وأنا ابنة نذير ﴿لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. فاعملوا ﴿إِنَّا عَامِلُونَ ۝١٣٦ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾».

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان وقال: يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما، رؤوفا رحيما، وعلى الكافرين عذابا أليما، وعقابا عظيما، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفك دون الأخلاء آثر على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد، ولا يبغضكم إلا شقي بعيد فأنتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، والرائد لا يكذب أهله، وأني أشهد الله وكفى به شهيدا، أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين، لم انفرد به وحدي، ولم استبد بما كان الرأي عندي وهذه حالي ومالي، هي لك وبين يديك، لا تزوى عنك مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك ﷺ؟**».

فقالت عليها السلام: **سبحان الله ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا! بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.**

فقال أبو بكر: «**صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود..**».

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت:

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء وبان وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾».

ثم عطفت على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالت:

قـد كان بعـدك أنبـاء وهنبثـة
لـو كنـت شـاهدها لم تكثـر الخطب
إنـا فقدنـاك فقـد الأرض وابلهـا
واختـل قومك فاشـهدهم ولا تغب
وكل أهـل لـه قربـى ومنزلـة
عنـد الإلـه عـلى الأدنـين مقـترب
أبـدت رجال لنـا نجـوى صدورهم
لمـا مضيـت وحالـت دونـك الترب
تجهمتنـا رجـال واسـتخف بنـا
لمـا فقـدت وكل الأرض مغتصـب
وكنـت بـدرا ونـورا يسـتضاء بـه
عليـك ينـزل مـن ذي العـزة الكتب
وكان جبريـل بالآيـات يؤنسـنا
فقـد فقـدت وكل الخـير محتجـب
فليـت قبلـك كان المـوت صادفنـا
لمـا مضيت وحالـت دونـك الكُثُب

ثم انكفأت عليها السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه، ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار، قالت: لأمير المؤمنين عليه السلام: «**يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت**

حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل[1] فخانك ريش الأعزل[2] هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغة ابنيّ! لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، أضرعت خدك[3] يوم أضعت حدك! افترست الذئاب، وافترشت التراب، ما كففت قائلا، ولا أغنيت طائلا[4] ولا خيار لي، ليتني مت قبل هنيئتي، ودون ذلتي عذيري الله منه عاديا ومنك حاميا، ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل غارب! مات العمد، ووهن العضد شكواي إلى أبي! وعدواي إلى ربي! اللهم إنك أشد منهم قوة وحولا، وأشد بأسا وتنكيلا».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا ويل لك بل الويل لشانئك[5] ثم نهنهي عن وجدك[6] يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيتُ عن ديني، ولا أخطأت مقدوري[7] فإن كنت تريدين البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك، فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله وأمسكت**».

---

(١) قوادم الطير: مقادم ريشه وهي عشرة والأجدل: الصقر.
(٢) الأعزل: ما لا يقدر على الطيران من الطيور.
(٣) خضعت.
(٤) أي ما فعلت شيئا نافعا.
(٥) مبغضك.
(٦) خففي غضبك وحزنك.
(٧) ما تركت ما دخل تحت قدرتي أي لست قادرا على الانتصاف لك لما أوصاني به الرسول.

◄ ٢) خطابها لنساء المهاجرين والأنصار

قال سويد بن غفلة: لما مرضت فاطمة عليها السلام، المرضة التي توفيت فيها دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعُدْنها، فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟ فحمدت الله، وصلت على أبيها، ثم قالت:

«أصبحت والله: عائفة لدنياكن، قالية[١] لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم[٢] وسئمتهم بعد أن سبرتهم[٣] فقبحا لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وقرع الصفات وصدع القناة، وختل الآراء وزلل الأهواء، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وحملتهم اوقتها[٤] وشنت عليهم غاراتها فجدعا، وعقرا وبعدا، للقوم الظالمين.

ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين[٥] بأمور الدنيا والدين؟! ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾! وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة

---

(١) مبغضة

(٢) لفظتهم: رميت بهم وطرحتهم بعد أن عجمتهم: أي بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم

(٣) مللتهم بعد أن امتحنتهم

(٤) ثقلها

(٥) الفطن الحاذق

وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا، صافيا، رويا، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ألا هلم فاسمع؟! وما عشت أراك الدهر عجبا! وإن تعجب فعجب قولهم!..ليت شعري إلى أي أسناد استندوا؟ وإلى أي عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسكوا؟! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل[1] فرغما لمعاطس[2] قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. ويحهم ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى

(١) يعني المقاييس مقلوبة فما كان حقه التأخير وأن يكون ذنبا صار في المقدمة وما كان ينبغي أن يكون في العجز والنهاية أصبح في الكاهل والشرف.

(٢) أنوف.

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أما لعمري لقد لقحت، فنَظِرةٌ ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب دما عبيطا وزعافا مبيدا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب[1] ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، واطمأنوا للفتنة جاشا، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين: يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرةً لكم! وأنّى بكم وقد عُمّيت عليكم﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾؟».

(١) عاقبة.

مصحف فاطمة الزهراء عليها السلام

ورد في الخبر الصحيح عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً، وقد اشتد حزنها على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان جبرائيل يأتي إليها يسليها ويعزيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويذكر لها ما يحدث، فكانت فاطمة تأخذ منه وعلي يكتب، وهذا هو مصحف فاطمة عليها السلام**».

هذه الصفحات تتناول موضوع مصحف فاطمة عليها السلام نظراً لأنه من جهة يحاط بشيء من عدم المعرفة؛ فيحتاج إلى توضيح حقيقته لمن يريد استيضاح الحقيقة، ومن جهة اخرى لأن بعض مخالفي المذهب يتصيدون في هذه الجهة – مع علمهم أو مع جهلهم – بقولهم إنه يوجد للشيعة مصحف آخر، فلذلك هم لا يعتمدون على القرآن الكريم كسائر المسلمين.

◄ هل مصحف فاطمة قرآن آخر يعتمد عليه الشيعة؟.

من الأخطاء الشائعة: أن معنى كلمة مصحف هو القرآن الكريم، والحال أن هذا غير صحيح في اللغة العربية. فإذا رجعنا

إلى معاجم اللغة ومعاني الكلمات نجد فيها أن معنى المصحف هو عبارة عن أي كتاب بين جلادتين، أي كتاب في بدايته ونهايته تجليد سواء كان ذلك الكتاب يختص بالفقه أو التفسير أو السيرة أو العقائد أو أي شيء آخر فذلك يعتبر مصحفاً.

فلو افترضنا أن لدينا قرآنا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ولكنه غير مجلد فهذا بحسب الاستعمال الحقيقي للكلمة لا يسمى مصحفاً في اللغة العربية؛ لأنه لا يشتمل على دفتين، أما في حال كانت سورة واحدة فقط ووضعت بين جلادتين فيسمى مصحفاً، تاريخ الطبري مثلاً يعتبر مصحفاً إذا كان مجلدا وكذلك الرسالة العملية تعتبر مصحفاً، وهذا ما ينطبق على مصحف فاطمة فهو عبارة عن علوم ضُمت بين جلدتين ولا يعني أنه قرآن فاطمة.

فمن يقول إن مصحف فاطمة هو قرآن خاص وأن شيعتها يعتمدون عليه، فهذا ليس لديه علم باللغة العربية، إلا إذا كان متقصداً فهذا شيء آخر.

◄ منشأ وجود مصحف فاطمة عليها السلام

من خلال الرواية الصحيحة الواردة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتي يرويها أبو عبيدة الحذاء عن الإمام الصادق عليه السلام، والتي تؤكد على أن استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام كانت بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة وسبعين يوماً، حيث أصابها حزن وغم كبير، وعبرت هي عليها السلام عن ذلك بهذه الأبيات:

صبـت عـلَيّ مصائـب لـو أنها صبـت على الايـام صرن لياليا

وهذا يرد ما زعمه بعضهم من حرمة النياحة على الميت، بل نفس فعلها وهي عند الإمامية معصومة وعند باقي المسلمين صحابية وفعلها يكشف عن تشريع ثابت حتى ذكر في مصادر مدرسة الخلفاء كدليل على جواز أن يرثي القريب من يفقده، واستدلوا هناك بان فاطمة عليها السلام كانت تأتي عند قبر ابيها وتقول هذا الكلام ولم يُنكر عليها أحد - حسب قولهم - باعتبارها صحابية وباقي الصحابة كانوا يسمعون هذا ولم ينكروا عليها، مما يعني أن الرثاء والنياحة بهذا المستوى ليست ممنوعة وليست محرمة.

فكان جبرائيل عليه السلام ينزل عليها ويعزيها في أبيها ويسليها في مصيبتها ويخبرها عما يجري على أبنائها، فكانت فاطمة عليها السلام تمليه على علي عليه السلام وعلي يكتب فهذا هو منشأ مصحف فاطمة.

◄ إشكال البعض في نزول جبريل عليه السلام على فاطمة عليها السلام

كيف يقال بنزول جبرائيل على فاطمة عليها السلام؟ ألا يلزم ذلك أن هناك وحيا جديدا وأنتم تقولون انقطع الوحي بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

والجواب: تختلف الأسباب التي من أجلها تنزل الملائكة، فبعض الأسباب تجعل نزول الملائكة بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممتنعا، ومثاله: أن يأتي جبرائيل أو أي ملَك اخر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحي فيه تشريع وأحكام.

وهناك أسباب أخرى تجعل نزول الملائكة على فاطمة عليها السلام أو على أي أحد غيرها ممن يختار الله له ذلك ممكنا وهنالك نماذج على ذلك:

◁ **النموذج الأول: نزول الملائكة على مريم بنت عمران**

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(١)

يظهر من الآية أن جبرائيل يخبر مريم عليها السلام بأنها مصطفاة ومطهرة، ولا ريب أن فاطمة بنت محمد عليها السلام هي أفضل من مريم عليها السلام؛ وذلك لما ورد في فضلها من الروايات المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وليس سيدة نساء قومها فقط كما كانت مريم عليها السلام. فمع إمكان ذلك ووجود الخبر الصحيح به وانتفاء المانع منه نقبل مثل هذا الأمر.

ومثل مريم سارة زوجة نبي الله ابراهيم فقد بشرتها الملائكة وأخبرتها عن مستقبل أيامها وأنها تلد الولد وولد الولد بعد العقم ولما تعجبت من ذلك واستغربته قالوا لها لا تعجبي من أمر الله **﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾**(٢)

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٢

(٢) هود: ٧١ـ ٧٣

◁ النموذج الثاني: عبّاد بني اسرائيل

إذا كان القرآن الكريم يشهد بنزول الملائكة على مريم وهي دون فاطمة في الشرف والمنزلة والفضيلة[1]، وكذلك ما ورد في بعض صحاح مدرسة الخلفاء أن الملائكة كانت تنزل على بعض عُبّاد المؤمنين[2] على الرغم من أنه ليس لهؤلاء العُبّاد صفة استثنائية، فكيف نستبعد نزول الملائكة على فاطمة عليها السلام وقد ورد الخبر عن الصادق عليه السلام بأن جبرائيل كان ينزل عليها؟! وهذا لا نسوقه دليلا على حصول الحادثة وإنما هو لرفع الاستبعاد وإلزام الخصم الذي ينكر هنا ويسلم هناك.

◀ مضمون مصحف فاطمة

المتحصل من الروايات أن هذا الكتاب المجلد الذي كتبه امير المؤمنين عليه السلام بعد مجيء جبرائيل بأخباره ونقله لهذه الاخبار لفاطمة عليها السلام، كان يحتوي على علم ما هو كائن من الاحداث المستقبلية، ونظرا لأن هذا العلم من العلوم الخاصة، كان من جملة مختصات المعصومين فهو لا يوجد الآن عند أحد من الخلق في هذا

---

(١) في روايات متعددة عن النبي صلى الله عليه وآله مفادها ان مريم سيدة نساء عالمها بينما فاطمة سيدة نساء العالمين طرا.

(٢) صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إنّ رجلًا زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته - طريقه - ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عزّ وجلّ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**».

الزمان إلا عند صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه.

وذلك هناك مجموعة من العلوم الخاصة توارثها أهل البيت عليهم السلام كعلائم على أن لهم ارتباطاً خاصاً بالله عز وجل فلديهم علم خاص لا يصل إلى غيرهم، فبقي ذلك عندهم وهو من جملة علامات الإمام وعصمته. على سبيل المثال، لدينا الجامعة، وما أدراك ما الجامعة! فيها الأحكام الفقهية التفصيلية، حتى أرش الخدش مذكور في تلك الجامعة.

إن هذه الأحكام التفصيلية قد لا تستطيع الحصول عليها في القرآن الكريم ولا في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كان من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أورثه للأئمة المعصومين عليهم السلام. وكذلك ما قيل من كتاب الجفر، فيه علم من علوم الأنبياء السابقين، ولذلك فكل من يدعي في هذا الزمان غير الإمام المعصوم أن عنده كتاب الجفر فهو غير صادق.

مثلا قد ورد في الروايات لدينا عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لأحد اصحابه قبل نهاية الدولة الأموية «**في سنة مائة وثمانية وعشرين للهجرة يبدأ أمر الزنادقة ووجدت هذا في مصحف فاطمة**»، والإمام الصادق عليه السلام عاش في تلك الفترة واستشهد سنة مائة وثمان وأربعون للهجرة، فكان يحدث أصحابه أنه سيبدأ أمر الزنادقة، أي مع نهاية الدولة الاموية ومع بدايات الحركة العباسية؛ لأن الدولة العباسية تأسست سنة مئة واثنين وثلاثين للهجرة.

في تلك الفترة بدأت حركات الزنادقة، وفي ذلك الوقت كانوا يتحدثون عن نشاط لعبد الله بن المقفع الذي توفي في سنة مائة وخمسين للهجرة حيث بدأ نشاطه التشكيكي من وقت مبكر، وبعد ذلك بثلاث سنوات توفي عبد الكريم بن أبي العوجاء وهو من الزنادقة وهكذا غيرهم. بدأت هذه الحركات من سنة مائة وثمانية وعشرين للهجرة، ومصحف فاطمة عليها السلام كان في السنة العاشرة أو الحادية عشرة من الهجرة حيث ذكر فيه أنه ستبدأ حركات للزندقة والإلحاد في المجتمع المسلم بعد حوالي قرن من الزمن.

أما فيما يتعلق بالتطورات السياسية، فقد أشير في بعض الروايات إلى ما جاء في مصحف فاطمة عنها، ومن ذلك رواية تقول بأنه: جاء الفضيل بن يسار[1] إلى الإمام الصادق عليه السلام، فقال له الإمام: «**رجعت إلى مصحف فاطمة فما وجدت حُكماً ولا ملكاً لهم – يعني أبناء عبد الله بن الحسن – في هذه البلاد – أي بغداد أو المدينة –**»، بمعنى إذا كنت تعتقد أن هذه الحركة سيعقبها نصر على العباسيين فهذا لن يحصل.

وقد ورد في روايات أن مصحف فاطمة مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، وذلك يعني أن حجمه ثلاثة اضعاف القرآن الكريم، فلو افترضنا أن بحسب الطبعات الموجودة حاليا حوالي ستمائة صفحة

(١) أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وممن شارك في حركة الحسنيين ضد المنصور العباسي.

في القرآن الكريم، معنى ذلك فإن مصحف فاطمة في حدود الألف وثمانمائة صفحة، وفيه هذه العناوين العامة لا التفاصيل الجزئية.

بناء على ما تقدم؛ فإن ما يذكره بعض الطائفيين من أن الشيعة لهم مصحف خاص بهم – أي مصحف فاطمة – كذب محض أو جهل مشين، الكتاب هذا غير موجود ولا يوجد فيه شيء من القرآن الكريم، ولا يوجد فيه شيء من الأحكام، ولا يوجد عند أحد على الاطلاق، وانما هو ذخيرة وميراث لأصحابه وهم الأئمة عليهم السلام، وهو من علامات الإمامة، حتى عندما ادّعى بعض الهاشميين الإمامة أخبر بعض ائمتنا أصحابه بأن يطلبوا من المدعي احضار مصحف فاطمة وسلاح رسول الله وسلاح ذي الفقار، فإن فعل ذلك فهو إمام.

إذا كان مصحف فاطمة ليس موجوداً عند المراجع العظام، ولا في الحوزات العلمية، ولا عند المحققين في الدراسات القرآنية، فكيف تقولون بأن هناك قرآناً خاصاً بالشيعة يقرأونه بدلاً عن هذا القرآن الذي هو بيد المسلمين؟ ولكن مما يهون الخطب أن هذه الأكاذيب التي تنشر احياناً بدافع تبغيض الناس في مذهب أهل البيت عليهم السلام لا تلبث أن تتوضح ويظهر عدم صحتها.

فأنتم ترون أن في كل مجتمعات أتباع أهل البيت عليهم السلام يلتزمون بالقرآن الذي نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويتعاملون مع هذا القرآن المعهود ولا يزيدون فيه حرفا ولا ينقصون منه كلمة، وأنت تلاحظون هذه القنوات الفضائية تبث تلاوة قرّاء شيعة أهل

البيت عليهم السلام وختمتهم للقرآن الكريم من المراقد المقدسة والمشاهد المشرفة حتى يتبين لعامة المسلمين كذب هؤلاء الطائفيين الذين يريدون تشويه الصورة الحقيقة.، فهذا هو القرآن الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام، بل كان مجموعاً ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يحتاج لبحث خاص؛ لأن الفكرة الشائعة أن جمع القرآن كان في عهد الخليفة الثالث لا يَسلّم بها أغلب المحققين ولهم أدلتهم على ذلك وهي ادلة متينة وقوية.

◄ أثر مصحف فاطمة على أهل البيت عليهم السلام ؟

وبحسب ما جاء في الرواية التي مرت، فإن الغرض من ذلك النزول الجبرئيلي والحديث الذي يأتي به هو تسلية فاطمة عليها السلام، وذلك بالكشف عن حوادث المستقبل وأنه برغم الآلام سيكون من نصيب شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته وذريته، وأن هذه الآلام والأحزان ستنتهي عندما يظهر قائم آل محمد وهو ابنها محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه.

عبادة فاطمة الزهراء عليها السلام

روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**إن ابنتي فاطمة إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر الكواكب إلى أهل الأرض**».

تتناول هذه الصفحات بعض الجوانب من عبادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، أقول بعض الجوانب باعتبار أننا لا نحيط ولا غيرنا بكل ما كانت عليه من العبادة والتوجه إلى الله عز وجل، فإن قسماً كبيراً وواسعاً من حياتها لم يدونه التاريخ ولم ينقله، أضف إلى ذلك أن الحالة العبادية في أكثرها هي حالة خفية، تهجدها في الليل بكاؤها توسلها وتعلق قلبها بالله عز وجل هذه ليست من الأمور الظاهرة غالباً ولذلك حتى لو أريد تدوين هذه الامور فإنه يكون من الصعب. نعم كُشف لنا شذرات من هنا وهناك وهي تعكس جانبا مما وراء هذه الشذرات والعناوين، نتحدث عن هذا لكي ننظر إلى صفحة مشرقة قابلة للاقتداء من حياة هذه السيدة الجليلة والصديقة الطاهرة.

هل يتيسر للإنسان أن يجمع بين صفات العبادة والعلم بشكل متكامل

وعندما نتناول الجانب العبادي في حياة سيدتنا فاطمة، ينبغي أن نلتفت إلى أنه أحد جوانب الكمال في شخصيتها، وليس الجانب الوحيد. ذلك أن من الممكن أن تجد عابدا قد اعتزل الناس فهو متفرغ للصلاة والمناجاة والتهجد، لكنه لا يوجد له جهات كمال أخر. أو تجد عالما محققا قد انقطع للتحقيق والعلم والكتابة والتأليف لكن عبادته ليست في الدرجة العالية، وهكذا..

إنما الكمال كل الكمال هو أننا أمام امرأة هي زوجة وفي أعلى درجات حسن التبعل لزوجها حتى قال فيها: «**ولقد كنت أنظر إليها فتنجاب عن قلبي الهموم**»، وهي أم لأربعة أولاد قد أنجبتهم بشكل متتال تقريبا بحيث كان بين بعضهم والآخر مقدار الطهر فقط كما هو المعروف! وهؤلاء يحتاجون في تربيتهم إلى عناية خاصة، وهي فوق ذلك كانت في أول العمر فقد أنجبت أول أبنائها وهي بحدود الحادية عشر من العمر! وزوجها كان في كثير من الأوقات تحتضنه جبهات القتال وميادين الحرب والتي كان قسم منها بعيدا عن المدينة المنورة، ويحتاج أن يبقى أياما بعيدا عن زوجته لأجل ذلك.

وكانت إلى ذلك تعيش في شدة وصعوبة، وبالذات في أوائل زواجها حتى نقل أنها كانت تقول: «**لم يكن عندنا إلا جلد كبش ننام عليه في الليل وفي النهار نبسطه للطعام**»، هذه الحالة تسبب ضغط على الرجل وعلى المرأة ومع ذلك – في جانب التبعل والحياة الزوجية – تدير الأمر بهذه الطريقة.

وقد سألته كنوع من الاعتذار – ربما قد بدر منها شيء– في أثناء وصيتها له: «**ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك مذ عاشرتني، قال: معاذ الله أنت أتقى لله وأبر من أن أوبخك بمخالفتي**».

إضافة إلى ذلك كانت النساء يأتين الزهراء عليها السلام ويسألنها عن أمور دينهن، فذات مرة جاءتها امرأة تسأل، وكل ما تجيب الزهراء مسألتها أعادت السؤال كأنها لم تفهم حتى بلغت مراراً – بعضهم قال سبع مرات – فقالت المرأة: كلفتك في هذا. فقالت الزهراء عليها السلام: «**لا، كلما أعدت عليّ زاد لي الثواب والأجر**».

فكانت عليها السلام تجمع الجانب الزوجي والعلمي والسياسي والعبادي وهذا ما يدل على مقدار العظمة والكمال لدى الزهراء عليها السلام.

◄ الصحيفة الفاطمية:

الدعاء هو صلة بين العبد وربه، وحديث العبد إلى ربه، ومناجاة واتصال، وإذا جاء الدعاء من معصوم فإنه يحمل معانيَ كثيرة، ويزيد المعرفة بالدين والأخلاق وبالله عز وجل.

ولذلك كانت الأدعية أحد مصادر المعرفة الدينية، بل إن بعض العلماء كانوا يستدلون ببعض ما ورد في الأدعية في بحوثهم الفقهية.

فمن باب المثال يستشهد بعض علمائنا بإحدى فقرات دعاء الندبة المنسوب إلى المعصومين عليهم السلام في مسألة فقهية دقيقة جداً في

بحث المعاملات حول الشروط، وانه هل يشمل الشرط الشروط الابتدائية أو لابد أن يكون الشرط تابعاً لأحد العقود؟ وذلك من خلال التأمل في فقرة «**بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية فشرطوا لك ذلك**»[1] الواردة في ذلك الدعاء.

إذن الدعاء بحد ذاته ليس مجرد أن أقول (**يا الله اعف عني**)، وهذا ما يميز أدعية المعصومين عن أدعية غيرهم.

وهناك من جمع أدعية الصديقة الزهراء عليها السلام في كتاب بعنوان الصحيفة الفاطمية محاولاً أن يتتبع ما هو موجود من أدعية للزهراء عليها السلام، وحبذا لو قام بعض المؤمنين بطباعة الصحيفة الفاطمية وتوزيعها على الناس حباً بالزهراء ولإظهار شيء من فضلها، ونشر علومها عليها السلام. فإننا نجد مثلا أن الصحيفة السجادية منتشرة بين المؤمنين ولله الحمد، وينتفعون بها، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للصحيفة الفاطمية.

---

(١) الأنصاري؛ الشيخ مرتضى: كتاب المكاسب، ج ٥، الشيخ الأنصاري، ص ٢١: لكن لا يبعد منع صدق الشرط في الالتزامات الابتدائية، بل المتبادر عرفا هو الإلزام التابع، كما يشهد به موارد استعمال هذا اللفظ حتى في مثل قوله عليه السلام في دعاء التوبة: «**ولك يا رب شرطي أن لا أعود في مكروهك، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك**»، وقوله عليه السلام في أول دعاء الندبة: «**بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا**» كما لا يخفى على من تأملها.

تحوي هذه الصحيفة الفاطمية أدعية الأيام الخاصة بالصديقة الزهراء عليها السلام وأدعية في طلب الحوائج، وهناك أدعية في المناجاة والتضرع إلى الله عز وجل، وهناك دعاء طويل ومفصل في كيفية الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأن أمر تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعلاء منزلته واحترام ذكره، يخالف ما سلكه الطواغيت والمنحرفون في تاريخ الإسلام من أنهم أرادوا القضاء على ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد قال أحدهم: وهذا ابن أبي كبشة[1] - يقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم - يصرخ به في كل يوم خمس مرات فكأن القائل يصعب عليه أن يذكر أسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويصعب عليه أن يوصف بالرسالة والنبوة في الأذان!.

وشبيه بهذا ما قاله الحجاج الثقفي حين خطب بالكوفة فذكر

(١) قيل إن أحد أجداد النبي من جهة أمه رفض عبادة الأصنام وما كانت عليه قريش فنعتوه بالتمرد عليها، ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته من الله، أعادوا ذكر أبي كبشة، وكأنهما على نفس المسار وشتان! وقد ذكر هذه التسمية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو سفيان عندما كان في مجلس هرقل الروم كما جاء في صحيح البخاري برقم ٢٩٧٨ «**أن هرقل..دَعَا بِكِتَابِ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَلَمَّا فَرَغَ مِن قِرَاءَةِ الكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ، فَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ، وأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ..**» يعني أن دولة النبي أصبحت قوية! ونفس التسمية أعادها ابنه معاوية بالنص الذي قلناه في المتن كما نقله الزبير بن بكار في الموفقيات..

الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال: «**تبا لهم! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله**»[1]!.

بل إلى يومنا هذا لا تزال بقايا الآثار الأموية (والزبيرية)، من تعمد فصل آل النبي عنه في الصلاة عليه وعليه مع وجود أحاديث تنهى عن الصلاة البتراء، تجري في هذا التيار.

ولذلك التزم شيعة أهل البيت عليهم السلام بالصلاة الكاملة على النبي مقرونا به عترته وذريته، وهذا لا ينقص من قدر النبي ولا شأنه ومنزلته. وفي هذا الإطار تعلمنا السيدة الزهراء عليها السلام في دعائها الصلاة على النبي ﷺ، وتعدد بمناسبة ذلك أدوار النبي وأفضاله على الأمة وتبالغ في الدعاء له برفيع المنزلة، فكان من دعائها في الصلاة عليه ما يلي:

«**اللهم صلّ على محمد كما هديتنا به وصلّ على محمد كما رحمتنا به وصلِّ على محمد كما عززتنا به وصل على محمد كما فضلتنا به وصل على محمد كما شرفتنا به وصلى على محمد كما بصرتنا به وصل على محمد كما أنقذتنا به من شفا حفرة من النار، اللهم بيض وجهه وأعل كعبه وأفلج حجته وأتمم نوره وثقل ميزانه وعظم برهانه وافسح له حتى يرضى وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجعله أفضل النبيين والمرسلين عندك منزلة**

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ابن أبي الحديد، ص ٢٤٢.

ووسيلة واقصص بنا أثره واسقنا بكأسه وأوردنا حوضه واحشرنا في زمرته وتوفنا على ملته واسلك بنا سبله واستعملنا بسنته غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين».

◄ الزهراء وقيام الليل

أول من وصف عبادة الزهراء عليها السلام وأثنى عليها في ذلك هو خالقها سبحانه، فقد ورد في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم **«أن الله عز وجل يقول لملائكته: ياملائكتي، انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار».**[1]

وأما وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها ولعبادتها، فقد قال: **«أما ابنتي فاطمة، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض»**[2].

ويكفي ونلاحظ انتقال فاطمة من بيت أبيها إلى بيت أمير المؤمنين وأي مستوى روحي وعبادي كانت تفكر فيه، فقد نقلوا أنها عليها السلام بعد زواجها وكانت بين العاشرة والحادية عشر من العمر،

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١٧٦.
(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١٧٦.

فلما زفت إلى دارها، رآها أمير المؤمنين عليه السلام تبكي فسألها عن ذلك فقالت له: إن دخولها في فراشها ذكرها بدخولها في قبرها، فاقترحت عليه أن يحيا الليلة تلك بالعبادة!.

وبحسب ما نقله المرحوم السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق ٢٣/ ٤٩٣ في قصة زفاف فاطمة: «**فلما دخل الليل ودخل على فاطمة رآها تبكي، فقال: ما يبكيك؟ أما ترضي أن أكون لك بعلا وتكوني لي أهلا. قالت: بلى، ولكني تفكرت في حالي وأمري عند ذهاب عمري ونزولي في قبري، فشبهت دخولي في فراشي بمنزلي كدخولي إلى لحدي وقبري، فأنشدك الله أن قمت إلى الصلاة فنعبد الله تعالى هذه الليلة، فكانا يقطعان الليل والنهار بالصلاة حتى مضت عليهما ثلاثة أيام، حتى باهى الله بهما الملائكة المقربين وجعلهما شفيعا في العصاة والمذنبين**».

نقول هذا ليتأمل فيه الأزواج والزوجات ممن (**يحيون**) ليلة الزفاف إلى الفجر في الغناء المحرم والمظاهر التي لا ترضي الله، ثم يقولون هي ليلة العمر! ومن عجب أن هذه الليلة التي كان ينبغي أن تكون عنوان حياتهما في طاعة الله حيث الزواج هو اعلان الطاعة ورفض قضاء الشهوة بغير ما يرضي الله، فإذا بها تتحول إلى إعلان المعصية، والتمرد على أوامر الله!!.

ولأجل ذلك كان من المستحب للزوجين في ليلة الزفاف أن يصليا ركعتين ويدعوا ربهما تعالى أن يرزقهما الود والسعادة والذرية الصالحة.

إن انتقالات الإنسان الحقيقية في هذه الحياة هي ثلاثة؛ انتقال من بطن أمه إلى الدنيا، ومن بيت عائلته إلى بيت الزوجية، ومن الدنيا إلى قبره.

◄ **الزهراء قدوة أبنائها في التهجد:**

فقد روي عن الإمام الحسن أنه قال: «**رأيت أمي فاطمة قد قامت ليلتها فلم تزل راكعة وساجدة حتى طلع الفجر، وسمعتها تدعو لكل الناس فلما انفتلت، قلت لها يا أماه: رأيتك قد دعوت لسائر الناس ولم تدعي لنفسك! فقالت: يا بني، بلى، الجار قبل الدار**».

وروي عن أهل البيت عليهم السلام أن الإنسان إذا دعا لأخيه المؤمن بظاهر الغيب رد عليه أضعاف ما دعا به لصاحبه.

عن علم فاطمة الزهراء عليها السلام

ورد في الخبر المعتبر عن سيدنا ومولانا أبي عبدالله الصادق سلام الله عليه أنه قال: «**إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً فدخلها من ذلك همٌ عظيم وحزنٌ شديدٌ على أبيها فكان جبرئيل عليه السلام ينزل عليها يحسن عزائها ويطيب نفسها ويخبرها عن مكان أبيها ومقامه ويخبرها عمّا يجري على ولدها وكان عليٌ يكتب ذلك فسمي هذا مصحف فاطمة عليها السلام**».[1]

من هذا الحديث الذي نقل بطريق معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام ننطلق للحديث عن بعض مظاهر علم فاطمة الزهراء عليها السلام.

لا يمكن لنا بطبيعة الحال ان نحيط بأطراف العلم الفاطمي لسعته وشموله وتعدد مناحيه فإنها المعصومة عليها السلام بل هي الحجة على أبنائها.. كما ورد في حديث عن المعصومين عليهم السلام «**نحن حجج الله على الخلق وأمنا فاطمة عليها السلام حجة علينا**»[2]. فإذا كانت حجة

(١) الكليني، الكافي (مُشَكَّل) ١/ ٢٤١: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ ابْنِ رِئَابٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ.

(٢) المسعودي، الشيخ محمد فاضل، الأسرار الفاطمية ص ١٧: ذكر أنه

على الحجج فيكفي هذا منزلة لمعرفة مقدار سمو علمها.

لكن بمقدار ما يتيسر له وعاؤنا وبمقدار وما نتعقله بأفكارنا نحاول ان نسلط بعض الضوء على جوانب من هذا العلم الفاطمي.

وفي هذا دعوة مهمةٌ لكلا الطرفين من الرجال والنساء من اتباع فاطمة الزهراء عليها السلام للإقتداء بها عليها السلام والتأسي بطريقتها والإحاطة بقدر الإمكان بمكانة العلم والمعرفة لدى الزهراء عليها السلام.

وذلك لأنك عندما تكون ولياً لأعلم خلق الله عز وجل فينبغي ان تتناسب في علمك معهم.لا يليق بمن يقتدي بأعلم الخلق ان يكون جاهلاً..ولا يليق به ان يزهد في العلم والمعرفة، سواء كان العلم الديني والمعرفة الإسلامية او المعرفة الدنيوية، والاول أولى لما يترتب عليه من مسؤوليات دينية.

◄ الله تعالى هو المعلم الأول لفاطمة الزهراء عليها السلام ؟!

تارة نتحدث عن تعليم الله عز وجل لها.. وهذا مفاد الحديث المعتبر الوارد في مصحف فاطمة عليها السلام فإن معلمها الأول هو ربها سبحانه، حيث كان ينزل عليها جبرئيل ويخبرها الأخبار المختلفة مما يأتي عند الحديث عن مصحف فاطمة.

فإنها عليها السلام في فترة خمسة وسبعين يوم تلقت من العلوم

ورد عن الإمام العسكري عليه السلام بينما ذكر المرجع الديني السيد محمد صادق الروحاني في موقعه أنه عن الإمام الصادق عليه السلام.

والمعارف من الله ﷻ عبر جبرئيل عليه السلام ما يعادل ثلاث مرات من حجم القرآن الكريم...

وهذا يعني أنه إذا كان القرآن الكريم حوالي ستمائة صفحة مطبوعة وفيه ما فيه من العلوم، فإنها قد تلقت من العلوم بالإضافة إلى ما كانت تعرفه من علوم القرآن، ثلاثة أضعاف حجمه فيما سيسمى فيما بعد بمصحف فاطمة وهو ليس آيات ولا أحكام وإنما معارف أخر.

ولا غرابة في ذلك... فقد خاطبت الملائكة مريم عليها السلام ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ وفاطمة سيدة نساء العالمين قاطبة أفضل من مريم، لأن مريم اصطفيت على نساء عالمها بينما فاطمة سيدة نساء العالمين جميعا. وخاطبت الملائكة سارة مبشرة لها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وعندما تعجبت رفعوا عنها العجب بأن أمر الله لا تحده حدود طبيعية. وأن هذا هو من رحمة الله تعالى بأهل ذلك البيت!.

وأخرى عن المعلم الثاني لفاطمة عليها السلام وهو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فقد كان يخصها كعليٍّ بالعلوم. وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في حديثه عن قربه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. حيث يشير عليه السلام إلى أن كان إذا دخل علي على النبي في بعض منازله أخلاه وأقام النساء حتى المقربات منهن كأم سلمة! ولكنه إذا جاء لعلي عليه السلام في منزله لم يخل المجلس من فاطمة ولا من الحسنين.

ولذلك فمن أعجب العجب بعد هذا أن نجد السيوطي[1] يقول إن مروياتها في كتب الأحاديث ثمانية عشر والمتفق عليه واحد!! وأعجب من هذا روايته في ذلك (**المسند!!**) بما خالف فيه مشهور المؤرخين من غير الإمامية، وإجماع محدثي الإمامية ومؤرخيهم أن الذي صلى على فاطمة هو أبو بكر وأن عليا قدمه في ذلك!! وفي هذا المسند بالرغم من أن السيوطي قد أورد فيه ٢٨٤ رواية إلا أن المروي عن فاطمة مما ينطبق عليه عنوان المسند بشكل دقيق هو ٢٤ رواية فقط!.

◄ خُطَب السيدة الزهراء عليها السلام:

وبعد ذلك نقول إن من تجليات علم فاطمة الزهراء عليها السلام، خطبتها في المسجد وقد مر طرف من الكلام في خصائصها وميزاتها وعموم مواضيعها وطرق استدلالها فيها.

كما كان لها خطبة أخرى في نساء المهاجرين والأنصار وهي وإن كانت أقصر من خطبتها في المسجد إلا أنها أعادت فيها خلاصة لما ذكرت هناك مما يرتبط بأمر خلاف الخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام وكونه أحق وأولى منهم بالقيادة، وأيضا عتابها الشديد لأزواجهن، ولا ريب أنهن قد بلّغن أزواجهن بموقفها. فعن ابن عباس، قال: دخلت نسوة من المهاجرين والأنصار على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعدنها في علتها، فقلن لها: السلام عليك يا بنت رسول

(١) السيوطي، جلال الدين: مسند فاطمة الزهراء، مقدمة الكتاب.

الله، كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد إذ عجمتهم، وسئمتهم بعد إذ سبرتهم، فقبحا لأفون الرأي وخطل القول وخور القناة، و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾، ولا جرم والله لقد قلدتهم ربقتها، وشننت عليهم عارها، فجدعا ورغما للقوم الظالمين.

«ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمور الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين! وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته[1] بحتفه وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتلقه، ثم لسار بهم سيرا سجحا، والله لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلا رويا فضفاضا، تطفح ضفته، لأصدرهم بطانا قد خثر بهم الري غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل وردع سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

فهلم فاسمع، فما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب بعد الحادث، فما بالهم بأي سند استندوا، أم بأية عروة تمسكوا؟ ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ و ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾.

---

(١) الفقرة نقلها الطبرسي في كتابه الاحتجاج وهي أكثر استقامة مما نقله في الأمالي.

استبدلوا الذنابى بالقوادم، والحرون بالقاحم، والعجز بالكاهل، فتعسا لقوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟.

لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا وذعافا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا بعد ذلك عن أنفسكم نفسا، ثم اطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم وهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم وقد عميت عليكم الأنباء ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾».

ونعيد إلى الذكر ما سبق قوله من الميزات الموجودة في خطبتها المعروفة في المسجد من اقتباساتها القرآنية فهي هنا حاضرة، والنسيج هو نفس النسيج والأسلوب هو الأسلوب. لكن الإضافة فيها هو تنبؤ الزهراء عليها السلام بمستقبل الأمة ورؤيتها للأزمات التي ستقع فيها والمشاكل التي ستتورط فيها. وباختصار شديد سنشير إلى نقاط في خطبتها هذه:

١) في جوابها على سؤال كيف أصبحت من علتك؟ يظهر أن توقيت الزيارة كان بعد إجهاض الزهراء جنينها، وهذا أحد القرائن على حصول تلك الحادثة. فإنه لم تكن هناك علة أخرى في فاطمة! وجوابها بدل أن يكون التشكي من الألم البدني أو النزيف

كان في اتجاه أوسع يتناول حال المسلمين على أثر الانقلاب على أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت أصبحت عائفة **(زاهدة)** في دنياكن، قالية **(مبغضة)** لرجالكن، لا لجهة شخصية وإنما لكون مواقفهم مواقف خذولة، وآراءهم آراء فاسدة.

٢) تتساءل تساءل العارف بالجواب، بعد أن تقرر أنهم زحزحوا القيادة عنه.. لماذا؟ وماذا نقموا منه؟ وما الذي عابوه فيه؟ فتقول إن نفس نقاط قوته وتميزه هي التي عابوها فيه، نقموا منه نكير سيفه في المعارك وقلة مبالاته بحتفه بينما هم لا يستطيعون مجاراته في ذلك، ثم تسترسل في ذكر صفات ذلك الشخص الخبير بأمور الدنيا والدين والذي قامت عليه قواعد الرسالة.. ثم تضرب مثالا مما كان منه ومنهم من أنه لو أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتحمل قضية من القضايا لتكافوا عنها وابتعدوا ولكنه يأخذها بأمر رسول الله وخيبر والخندق وغيرهما شواهد، ولو جعل زمام القيادة إليه لسار بالأمة سيرا هادئا مطمئنا على بصيرة، لا يتعتع الراكب فيه ولا تجرح الدابة من خلاله حتى يوصله إلى المنهل العذب الذي يرويهم في الوقت الذي لا يشبع هو منه إلا بمقدار ما يواصل المسير!.

٣) ويزداد تعجبها حين تقارن بينه وبين المستولين على موقع القيادة فتقول إنهم أخروا من كان ينبغي أن يتقدمهم وقدموا من كان ينبغي أن يتأخر! هل رأيت طيرا يطير بينما قوادم ريشه في الخلف وذناباه في المقدمة؟.

ويترتب على ذلك أن الناس لا يدركون ضخامة المشكلة ووخامة العلة التي ابتليت بها الأمة، لكن ما هي إلا سنوات حتى تستفيق هذه الأمة على أن ما كانوا يظنونه لبنا سائغا مريا عاد سمًّا ممقرا مبيدا، وأن السيف بدأ يحصد الرقاب مثلما أن السارقين يحصدون تعب الناس ولا يعطونهم سوى قوت من لا يموت! «**وأبشروا بسيف صارم وهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا**» لكن ماذا تستطيع الزهراء أن تصنع أكثر من النصح والتحذير؟ ﴿**أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ**﴾؟.

◄ **مسند الزهراء عليها السلام:**

المسند في تعبير أهل الحديث ما كان الحديث فيه ينتهي إلى راو محدد كابن عباس مثلا، فيجمع المؤلف الأحاديث التي تنتهي إلى هذا الراوي ثم لرسول الله، وعلى هذا الاساس صنف المؤلفون كتبهم فهو هنا مثلا لا يأتي بحديث يرويه أبو سعيد الخدري حتى لو كان يتصل بموضوع الحديث الآخر، وإنما يعتمد على الحديث المنتهي باسم فلان من الرواة.

وعندما يقال مسند فاطمة، يقصد بذلك الأحاديث التي روتها فاطمة عليها السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو هي قالتها بنفسها كما هو رأي الإمامية حيث يرون حجية قولها هي كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بما هي راوية فقط خلافا للمدرسة الأخرى.

وقد أشرنا في الصفحات السابقة إلى أنه قد صنف الحافظ

السيوطي من علماء مدرسة الخلفاء (**توفي سنة ٩١١ هـ**) كتابا باسم مسند فاطمة وأورد فيه (٢٨٠) حديثاً. ولكن لاحظ عليه بعض العلماء أنه ليس كل الأحاديث الموجودة فيه قد روته فاطمة عليها السلام وإنما كان قد يضع أي حديث فيه اسم فاطمة في هذا الكتاب.. فإذا رأى حديثا فيه حب النبي لفاطمة عليها السلام فإنه يضعه في هذا الكتاب، وهذا مخالف لاصطلاح المسند الذي عرّفناه آنفا.

كما يلاحظ عليه أنه أغفل ما يعد أهم أقوالها وأحاديثها مضمونا وأسلوبا وهو خطبتاها اللتان خطبتهما؛ في المسجد والأخرى أمام نساء المهاجرين والأنصار وقد مر الحديث فيهما سابقا، ولعل موقف السيوطي العقدي منعه من إيراد هاتين الخطبتين وإلا فقد كانتا مشهورتين قبل زمانه.

وأما عند الشيعة فقد كتب العلامة السيد حسين التويسركاني كتابا بعنوان مسند فاطمة الزهراء عليها السلام في نحو ٤٥٠ صفحة أورد فيه ٢٦٠ حديثا مما روته السيدة الزهراء أو ورد قولها وكلامها فيه أو كان يخصها بنحو من الأنحاء[1]. كما كتب العلامة الشيخ عزيز الله عطاردي كتابا بنفس العنوان اشتمل على عرض لحياة السيدة

(١) جاء في محتوياته عناوين مثل: فضائل الزهراء: في أنها سيدة النساء وأنها في درجة النبي في الجنة وفي دعاء النبي لها وزهدها وخشيتها من الله وكذلك في زواجها وما روته عن أبيها ومن ذلك حديث الثقلين، وفي بيانها للأحكام الشرعية، وفي حجها وأحاديث حول أمها خديجة وزوجها أمير المؤمنين وأبنائها وأختها رقية.

الزهراء عليها السلام وفضائلها ومناقبها وما جرى عليها بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وفي فصله الثاني أورد الروايات الواردة عن فاطمة الزهراء عليها السلام حول الأحكام والسنن. كما عرض في فصله الثالث: إلى الذين رووا عن الزهراء عليها السلام مع شرح بسيط لهم.

وسنعرض لبعض تلك الروايات التي نقلت عنها عليها السلام:

◄ **باب العقائد:**

بالإضافة إلى ما أشرنا إليه أثناء شرح الخطبة الفدكية التي خطبتها في المسجد وكيف تحدثت عن معرفة الله تعالى وصفات النبي وجهاده فقد روي عنها حديث الثقلين الذي تدور عليه رحى المناقشات العقائدية وإثبات حقانية مذهب أهل البيت ولزوم اتباع سنتهم كاتباع القرآن حيث هما العاصمان من الضلال..

◄ **حديث الثقلين:**

عن فاطمة الزهراء قالت: سمعت أبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي قبض فيه يقول، وقد امتلأت الحجرة من أصحابه:أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد عليٍّ فقال: «**هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض فأسألكم ما تخلفوني فيهما**»[1].

---

(١) نقله التويسركاني في مسند الزهراء، عن ينابيع المودة لذوي القربى، ج ١، القندوزي، ص ١٢٤.

وكان النص على الأئمة المعصومين مكان في حديث فاطمة عليها السلام.

فقد نقلت عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أن الأئمة بعدي اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل**» قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا**﴾.

وحديث اللوح عن جابر بن عبد الله الأنصاري عنها عليها السلام مشهور ومعروف، وقد نقله إمام عن إمام؛ فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (**جعفر بن محمد الصادق**) عليه السلام، قَالَ: «**قَالَ أَبِي لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَمَتى يَخِفُّ عَلَيْكَ أَنْ أَخْلُوَ بِكَ فَأَسْأَلَكَ عَنْهَا؟ فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: أَيَّ الْأَوْقَاتِ أَحْبَبْتَهُ، فَخَلَا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ لَهُ: يَا جَابِرُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّوْحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ عليها السلام بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ومَا أَخْبَرَتْكَ بِهِ أُمِّي أَنَّهُ فِي ذلِكَ اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ. فَقَالَ جَابِرٌ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنِّي دَخَلْتُ عَلى أُمِّكَ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَهَنَّيْتُهَا بِوِلَادَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، ورَأَيْتُ فِي يَدَيْهَا لَوْحاً أَخْضَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زُمُرُّدٍ، وَرَأَيْتُ فِيهِ كِتَاباً أَبْيَضَ شِبْهَ لَوْنِ الشَّمْسِ، فَقُلْتُ لَهَا: بِأَبِي وأُمِّي يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هذَا اللَّوْحُ؟ فَقَالَتْ: هذَا لَوْحٌ أَهْدَاهُ اللَّهُ إِلى رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فِيهِ أَبِي واسْمُ بَعْلِي واسْمُ ابْنَيَّ واسْمُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِي، وأَعْطَانِيهِ أَبِي لِيُبَشِّرَنِي بِذلِكَ.**

قَالَ جَابِرٌ: فَأَعْطَتْنِيهِ أُمُّكَ فَاطِمَةُ عليها السلام، فَقَرَأْتُهُ، واسْتَنْسَخْتُهُ. فَقَالَ أَبِي: فَهَلْ لَكَ يَا جَابِرُ أَنْ تَعْرِضَهُ عَلَيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَمَشى مَعَهُ

أَبِي إِلى مَنْزِلِ جَابِرٍ، فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مِنْ رَقٍّ، فَقَالَ: يَا جَابِرُ، انْظُرْ فِي كِتَابِكَ لِأَقْرَأَ عَلَيْكَ، فَنَظَرَ جَابِرٌ فِي نُسْخَتِهِ، فَقَرَأَهُ أَبِي، فَمَا خَالَفَ حَرْفٌ حَرْفاً، فَقَالَ جَابِرٌ: فَأَشْهَدُ بِاللهِ إِنِّي هكَذَا رَأَيْتُهُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوباً..»[1]، ونقل تمام الحديث وفيه أسماء المعصومين عليهم السلام.

◄ **في الفقه والتشريع:**

عَنْ زُرَارَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَضَاءِ الْحَائِضِ الصَّلَاةَ، ثُمَّ تَقْضِي الصِّيَامَ؟.

قَالَ: «**لَيْسَ عَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ الصَّلَاةَ، وَعَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَأْمُرُ بِذلِكَ فَاطِمَةَ عليها السلام، وَكَانَتْ تَأْمُرُ بِذلِكَ الْمُؤْمِنَات**»[2].

وهذه الرواية مما يستدل به بالإضافة إلى المسألة الفرعية وهي قضاء الحائض الصوم دون الصلاة، يستدل به في النقض على أصحاب منهج القياس وتحكيم العقل في غير مجاله كالأمور العبادية، فإنه لو نظرنا بحسب القياسات العادية لكان يجب أن تقضي الصلاة فإن الصلاة عمود الدين وأكثر أهمية من الصوم في منظومة التشريع لكنها تقضي الصوم **(الذي فرض أنه أقل أهمية)** ولا تقضي الصلاة **(التي فرضت أنها أهم من الصوم)**.

(١) الكليني، الكافي (دار الحديث)٢/ ٦٨٢

(٢) الكليني، الكافي (دار الحديث) ٥/ ٢٨٥

◄ في الأخلاق والتربية الروحية

نقل الطبراني بسنده عن عبد الله بن مسعود فقال: جاء رجل إلى فاطمة فقال: يا بنت رسول الله هل ترك رسول الله ﷺ عندك شيئا تطرفينيه؟ فقالت: يا جارية هات تلك الجريدة! فطلبتها فلم تجدها. فقالت: ويحك اطلبيها فإنها تعدل عندي حسنا وحسينا! فطلبتها فإذا هي قد قمّتها (**أي كنستها**) في قمامتها! فإذا فيها قال النبي محمد ﷺ:

- **ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه.**
- **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.**
- **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.**
- **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت.**
- **إن الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف ويبغض الفاحش البذي السؤال الملحف.**
- **إن الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والفحش من البذاء والبذاء في النار**[1].

وفي هذا الحديث ما يدل على القيمة العالية التي تراها فاطمة الزهراء عليها السلام لأحاديث أبيها رسول الله ﷺ إلى حد أنها (**تعدل حسنا وحسينا**)! وتشير أيضا إلى أن الأحاديث الأخلاقية لا ينبغي التعامل معها على أنها أمور مستحبة فقط وإنما هي قبل ذلك منهاج

(١) نقله التويسركاني في مسند فاطمة، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٩٦.

حياة وطريقة عيش يقررها الدين للإنسان. بدءا من العلاقة الآمنة مع الجار، وإكرام الضيف إلى السلوك الشخصي بحيث يضبط كلامه بضابط **(فليقل خيرا أو ليصمت)!**

ويقينًا لو أن كل إنسان التزم بمثل هذه التوصية وضبط بها كلماته ومناقشاته في المجتمع لاستراح المجتمع من كثير من النزاعات والمشاكل الاجتماعية ولتوفر الكثير من وقت الناس فيما هو النافع والمفيد.

وفي مجال التربية الروحية لها أدعية[1] وأحاديث؛ منها ما نقلته عن أبيها رسول الله فقالت: «**دخل عليّ أبي رسول الله ﷺ وإنّي قد افترشت الفراش وأردت أن أنام، فقال: يا فاطمة، لا تنامي حتّى تعملي أربعة أشياء: حتّى تختمي القرآن، وتجعلي الأنبياء شفعاءك، وتجعلي المؤمنين راضين عنك، وتعملي حجّة وعمرة، ودخل في الصلاة، فتوقّفت على فراشي حتّى أتمّ الصلاة.**

فقلت: يا رسول الله، أمرتني بأربعة أشياء لا أقدر في هذه الساعة أن أفعلها، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: إذا قرأت قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثلاث مرّات فكأنّك قد ختمت القرآن، وإذا صلّيت عليّ وعلى الأنبياء من قبلي فقد صرنا لك شفعاء يوم القيامة، وإذا

(١) جمعها السيد محمد باقر الموحد الابطحي في كتاب بعنوان الصحيفة الفاطمية الجامعة، كما جمع بعض الأفاضل بعض أدعيتها في كتاب صغير بعنوان صحيفة فاطمة الزهراء عليها السلام.

استغفرت للمؤمنين، فكلّهم راضون عنك، وإذا قلت: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر) فقد حججت واعتمرت».[1]

(١) اليزدي، عباس الإسماعيلي، ينابيع الحكمة ٥/ ١٩١ ونقله في مسند الزهراء عن خلاصة الأذكار.

كلمة شكر

للإخوة الفضلاء الذين تعاونوا في كتابة وتدوين أصل هذه المحاضرات جزاهم الله خير الجزاء:

باسم النور، وأحمد العرب، ونزار الناصر، وأحمد الحسين، وياسر العرب، ورضا الرشيد، وعاصم السلطان وأخيرا الأخ الفاضل أبي محمد العباد.

أسأل الله أن يكرمهم وإيانا بشفاعة سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

المصادر

◁ المصادر بعد القرآن الكريم

◁ أكثر المصادر التي تم اعتمادها هي نسخ الكترونية على مواقع أو تطبيقات، والاعتماد الأساس كان على مكتبة أهل البيت الموقع الالكتروني: https://ablibrary.net/#/

◁ وبعض كتب مدرسة الخلفاء تم الاعتماد على تطبيق تراث تطبيق: app.turath.io.

فهرس

مقدمة ٥

أسانيد خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام ٧

- حقيقة نسبة الخطبة للزهراء عليها السلام: ٩
- الأولى: هل البرهان العقلي يحتاج إلى سند لإثباته؟ ١٠
- الثانيةً: استفاضة الخطبة تغني عن تتبع سندها ١٥
- الثالثة: متن الخطبة يصحح سندها ١٧
- رابعاً: هل القضايا التاريخية كالقضايا الفقهية تحتاج لسند متصل لاثباتها؟ ٢٠
- ورود الخطب في الكتب اللغوية والتاريخية: ٢٢

الخطبة الفدكية ميزاتها ومواضيعها ٢٥

- الخطبة بين الخطاب العقلي والعاطفي: ٢٧
- المنهج المنطقي لإحداث التغيير في المجتمع: ٢٨
- جمع الزهراء عليها السلام في خطبتها بين تحليل القضية وتحميل المسؤولية: ٣١
- مجمل مواضيع الخطبة: ٣٣

◁ بداية خطبة الزهراء عليها السلام بالحمد والثناء..... ٣٣
◁ تعريف الزهراء عليها السلام لله تعالى وتنزيهه عن الرؤية: ... ٣٤
◁ تعريف الزهراء عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:..... ٣٧
◁ وصف الزهراء عليها السلام لحالة الأمم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:... ٣٨
◁ حديثها عن القرآن الكريم:..... ٣٨
◁ حديث الزهراء عليها السلام عن التشريع وفلسفته: ٣٩
◁ إعلموا أني فاطمة: ٤٠
◁ حديثها عليها السلام عن جهاد علي عليه السلام بين يدي رسول الله:... ٤١
◁ احتجاجها على الخليفة الأول:..... ٤٢
◁ استنهاض المهاجرين والأنصار للنصرة: ٤٣

الاقتباس القرآني في خطبة فاطمة الزهراء ٤٥

◀ سلامة القرآن الكريم من التحريف..... ٤٥
◀ ظواهر القرآن الكريم حجة على الإنسان المسلم..... ٤٧
◀ بلاغة الزهراء عليها السلام في طريقة الاقتباس من القرآن الكريم:... ٥٠
◀ ثلاثة عشر اقتباسا بديعاً للزهراء عليها السلام من القرآن الكريم:... ٥٢
◁ الاقتباس الأول:..... ٥٥
◁ الاقتباس الثاني:..... ٥٦
◁ الاقتباس الثالث: ٥٧
◁ الاقتباس الرابع:..... ٥٨
◁ الاقتباس الخامس:..... ٥٨
◁ الاقتباس السادس والسابع:..... ٥٩

◁ الاقتباس الثامن: ٦١
◁ الاقتباس التاسع: ٦٢
◁ الاقتباس العاشر إلى الثالث عشر: ٦٢

التوحيد في خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام ٦٥

◀ الابتداء بالحمد ميزة الخطاب الإسلامي: ٦٦
◀ التعريف بالله تعالى: أشهد أن لا إله إلا الله: ٦٩
◀ استحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة: ٧١
◀ ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها وصورها بلا احتذاء أمثلة إمتثلها: ٧٤

النبي محمد كما تصفه الزهراء عليها السلام في الخطبة الفدكية ٧٧

◀ متى تم الاصطفاء الإلهي لرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ ٧٧
◀ أقسام العالم: عالم الواقع وعالم التقدير ٧٨
◁ عالم الواقع: ٧٨
◁ عالم التقدير: ٧٩
◀ الديانات المنتشرة في الجزيرة العربية والقريبة منها قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٨١
◀ بزوغ فجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عالم الواقع: ٨٣
◀ معاناة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ الرسالة: ٨٤

مقاصد التشريع الإسلامي في خطبة الزهراء عليها السلام ٨٧

◀ هل التعبير بالايمان هو الصحيح أو العقيدة؟ ٨٩

- الفئة الأولى: فئة أهل البيت عليهم السلام ٩٨
- الفئة الثانية: فئة التيار القرشي ٩٨
- الفئة الثالثة: فئة الأنصار ٩٨
- موقف النبي وأهل البيت عليهم السلام من الأنصار: ١٠١

فدك: قضية الزهراء... التاريخ والدلالات ١٠٩

- سنتناول باختصار ثلاث نقاط رئيسية: ١١٠
- أولا: فدك جغرافيا وتاريخيا: ١١٠
- ثانيا: فقه قضية فدك، وكيفية تعامل الخلافة معها..... ١١٥
- ثالثاً وأخيراً: فدك.. رمز الحق المغصوب: ١٢٢

نص خطبتي فاطمة الزهراء عليها السلام ١٢٥

- ١) خطبتها في المسجد **(المشهورة بالخطبة الفدكية)** ١٢٥
- ٢) خطابها لنساء المهاجرين والأنصار..... ١٣٩

مصحف فاطمة الزهراء عليها السلام ١٤٣

- هل مصحف فاطمة قرآن آخر يعتمد عليه الشيعة؟. .. ١٤٣
- منشأ وجود مصحف فاطمة عليها السلام ١٤٤
- إشكال البعض في نزول جبريل عليه السلام على فاطمة عليها السلام ١٤٥
  - النموذج الأول: نزول الملائكة على مريم بنت عمران... ١٤٦
  - النموذج الثاني: عبّاد بني اسرائيل ١٤٧
- مضمون مصحف فاطمة..... ١٤٧
- أثر مصحف فاطمة على أهل البيت عليهم السلام ؟ ١٥١

عبادة فاطمة الزهراء عليها السلام ١٥٣
- الصحيفة الفاطمية: ١٥٥
- الزهراء وقيام الليل ١٥٩
- الزهراء قدوة أبنائها في التهجد: ١٦١

عن علم فاطمة الزهراء عليها السلام ١٦٣
- الله تعالى هو المعلم الأول لفاطمة الزهراء عليها السلام ؟! ١٦٤
- خُطَب السيدة الزهراء عليها السلام : ١٦٦
- مسند الزهراء عليها السلام : ١٧٠
- باب العقائد: ١٧٢
- حديث الثقلين: ١٧٢
- في الفقه والتشريع: ١٧٤
- في الأخلاق والتربية الروحية ١٧٥

كلمة شكر ١٧٩

المصادر ١٨١

قنوات التواصل مع الشيخ

الايميل
fawzialsaif@gmail.com

الموقع الالكتروني
www.al-saif.net

قناة اليوتيوب
https://m.youtube.com/user/Fawzialsaif

تطبيق آيفون
http://bit.ly/alsaifapp

تطبيق أندرويد
http://bit.ly/1zPHwFh

قناة التلغرام
http://bit.ly/1M8Lzhk

المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس
https://goo.gl/VMmT7X

روابط المقاطع القصيرة
goo.gl/XkTvmj

قناة الساوند كلاود
https://m.soundcloud.com/fawzialsaif

تطبيق الكتب اندرويد:
https://play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaif.books

ايفون وايباد:
https://appsto.re/us/_ptClb.i

الموقع الرديف
https://al-saif.app

الانستغرام
https://instagram.com/fawzialsaif_shortclips?igshid=195m0v23vh9mx

قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون:
https://apple.co/31oqGiO